الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عبد الحميد بن باديس – مستغانم –
كلية الأدب العربـــي و الفنون
قسم الدراسات الأدبية

صورة الآخر في رواية أنا وحاييم
" للحبيب السايح"

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في: تخصص أدب حديث ومعاصر

إعداد الطالبين:
محمد أمين قموش
عبد الرحمن بن جدو

إشراف الأستاذ الدكتور:
سماحية خضار

رئيس قسم الدراسات الأدبية
إمضاء : السيد عبد الله المعز

السنة الجامعية: 2021م/2022

الشكر والعرفان

تشكر : تتناثر الكلمات حبرا وحبا على الصفحات لكل من علمنا وأزال غيبة الجهل عنا برياح العلم ولكل من صحح عثراتنا نبعث لهم تحية شكل وتقدير وعرفان

إهداء

الحمد لله الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم والصلاة والسلام على أكرم خلق الله قاطبة سيد الأولين والآخرين امتثل أمر ربه فكان خير معلم،علم من الجهالة وهدى الله به من الضلالة امر بالعلم أمته فقال:"العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة"وقال:"تعلموا من المهد إلى اللحد"أنزل الله عليه سورة القلم إعجازا وتعظيما لشأنه وبعد...

الحمد لله الذي وفقنا لتثمين هذه الخطوة في مسيرتنا الدراسية بمذكرتنا هذه ثمرة الجهد والنجاح بفضل الله تعالى مهداة إلى الوالدين الكريمين حفظهما الله وأدامهما نورا لدربي

إلى العائلة الكريمة التي ساندتني أخي الكريم وأختي العزيزة وفقها الله في دربها الدراسي .

إلى رفيق الكفاح الجامعي بن جدو عبد الرحمن ساعدي الأيمن في المسار الجامعي.

شكر خاص إلى الاستاذة الكريمة والمشرفة على بحثنا خضار سماحية على كل ما قدمته من نصائح قيمة

وفي الأخيـــــر نسأل الله تعالى أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه.

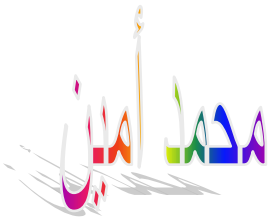

إهداء

أهدي هذا العمل للوالدين الكريمين فلطالما مدا أيديهما ليرفعاني للأعلى.

وإلـــــــــــــــــــــــــــــــى زوجتي الغالية التي كانت دوما خلفي تدفعني للأمام

إلـــــــــــــــــــــــــــــــى قرتا عيني وشبلاي سيف الإسلام وعماد الدين.

إلـــــــــى رفيق دري وسندي وذراعي الأيمن سي محمد الأمين إلى الأستاذة المشرفة التي تحملت زلاتنا وأخطائنا وهفواتنا ولم تبخل علينا بالنصائح.

إلـــــــــــــــــــــــــــــــى الأساتذة والطلبة الزملاء الذي رافقون منذ دخولنا الجامعة

إلـــــــــــــــــــــــــــــــى ذاك الشخص البعيد الذي قال لي أكمل نشوارك وإن احتجت أي شيء اتصل بي والشخص الاخر الذي قال لي خمس سنوات تمؤ كلمح البصر فقط تسلح بالإرادة

إلـــى كل عائلة بن جدو من قريب وبعيد

.

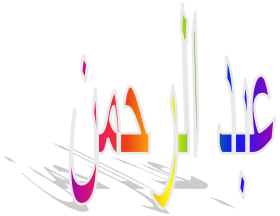

مقدمة

الحمد لله فاطر السموات والأرض'ميسر النعم لخلقه ظاهرة باطنة'لا تحيط بشكره ألسنة الشاكرين والذاكرين والمسبحين ولا يبلغ الواصفون كنه عظمته سبحانه نحمده حمدا كما يبتغي لكرم وجهه و عز جلاله 'ونستعينه استعانة من لا حول ولا قوة إلا به.ونستهديه الذي لا يضل من أنعم به عليه ونشهد أن لا إله إلا هو وحده لا شريك له.وأن محمدا عبده ورسوله سيد الأولين والآخرين .إمام الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه و على آله وأصحابه إلى يوم الدين.

إن الحديث عن الأدب و عن الحياة الثقافية في بلاد العرب ليس بالأمر الهين'لا لأنه أصل فيه و لا منبع له فالأدب الجزائري جزء لا يتجزأ عن الأدب العربي،فتعد إشكالية الأنا والآخر من أهم القضايا التي تناولتها الرواية العربي،فظهرت علاقة توافقية بين الأنا والآخر في الوطن العربي أساسها الدفاع عن المكتسبات الوطنية،و عند حديثي عن حياة الروائي الحبيب السايح و موضوعاته في أشعره نجد الأمر ليس سهلا لأن البحث فيه قليل 'و ذلك بسبب الجهود القليلة التي اتجهت بالتنقيب و الكشف عن الكنوز و التعريف بها.

و إذا كان لكل بحث دواعي و أسباب تقتضي الشرح و التعليل 'فإن دواعي بحثنا هذا ليست غريبة و لا بالأمر العجيب'فإن المكتبات العربية تفتقد إلى ماهو ثمين فهي بحاجة إلى دراسات تتناول الأدب الجزائري بالأخص 'لتزويد الجانب التراثي الفكري و الأدبي و المعرفي.ومن هنا نطرح الاشكال التالي:-ماهو مفهوم الأنا والآخر في الرواية؟

-فيم تتمثل تقنيات اشتغال الأنا والآخر في رواية أنا وحاييم للحبيب السايح؟

ومن هذا المنطلق وسمنا بحثنا هذا ب**"صورة الآخر في رواية أنا وحاييم للحبيب السايح"**

وللإجابة عن هذه التساؤلات ارتأينا أن تكون خطة بحثنا كالآتي:

تطرقنا في المقدمة إلى شرح دواعي اختيار الموضوع ونظرة شاملة حوله.قسمنا بحثنا هذا إلى:

الفصل الأول: المعنون ب**"التاسيس النظري لمفهومي الصورة والآخر"**تحدثنا فيه عن أهم المفاهيم النظرية حول ثنائية الأنا والأخر وظهور أنواع الصورة فحالات فهم الآخر وقرائته ،مع توضيح عناصر المساهمة في تكوين الصورة الأدبية.

أمـا **الفصـل الثـاني:** المعنـون ب**"صـورة الآخـر فـي روايـة أنـا وحـاييم للحبيـب السايح"**عالجنا فيه صورة الآخر في رواية أنا وحاييم للحبيب السايح بالاضافة إلى جدلية العلاقة بين الأنا والآخر في الرواية.

أمـا المـنهج الـذي اتبعنـاه فـي هـذه الدراسـة هـو مـنهج وصـفي تحليلـي الـذي يـدرس النصـوص النثريـة دراسـة تحليليـة حرصـت أن تكـون أحكـامي فـي هـذه الدراسـة موضـوعية مدعمة بالأدلة و الحجج و الآراء.

-تمثلـث الدراسـات السـابقة لهـذا الموضـوع فـي :مـذكرة تخـرج لنيـل شـهادة الماسـتر بعنوان"صـورة اليهودي/الآخر فـي روايـة أنـا وحـاييم-للحبيـب السـايح،إعداد الطـالبتين:ارون ليدية،بن عامر كاتية،تحت بإشراف نورة بعيو.بجامعة مولود معمري تيزي وزو.

-عن الجيد الذي نطمح إليه من هذه الدراسة هو تبيان تجليات ظـاهرة الأنـا والآخـر والعلاقـة التي تجمعهما في رواية الحبيب السايح بشكل جلي وواضح.

فيما يخص أهم المصادر الذي اعتمدنا عليها منها:

- الحبيب السايح"أنا وحاييم"

-مصطفى ناصف "الصورة الأدبية"

-عبد المجيد حنون"صورة الفرنسي في الرواية المغربية"

-عبد المالك مرتاض"تجريب في نمنمة اللغة وعجائبية الحدث"

-الصعوبات التي واجهتنا الجانب التطبيقي من المذكرة ،وقلة المراجع المتناولة لظاهرة الأنـا والآخر في رواية أنا وحاييم،مع ضيق الوقت الذي حاصرنا.

-في حين الخاتمة صمت أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال دراستنا لرواية أنا وحاييم والتمحص فيها والخوض في أغوارها.

و في الأخير نتقدم بكلمة شكر إلى الأستاذة "خضار سماحية "الذي تتبعت خطوات إنجاز هذا العمل بنصائحها و إرشاداتها القيمة.

الفصل الأول:
"التأسيس النظري لمفهوم صورة الأنا والآخر"

لقد اختلف النقاد في تعريفهم للصورة الشعرية وتعددت الآراء ووجهات النظر فيها فتوجد أراء تربط الصورة بالشكل ومنه نجد علي البطل في قوله"الصورة تشكيل لغوي يكونها خيال الفنان من عطيات متعددة يقف العالم المحسوس في مقدمتها فأغلب الصور مستمدة من الحواس إلى جانب ما لا يمكن إغفاله من الصور النفسية والعقلية وإن كانت لا تأتي بكثرة الصور الحسية.

أولا:الصورة:

1-مفهوم الصورة:

الصورة:"جاء في لسان العرب صور من أسماء الله الحسنى المصور وهو الذي صور جميع الموجودات ورتبها وأعطى كل شيء منها صورة خاصة،وهيئة مفردة يتميز بها على إختلافها وكثرتها ،وقال ابن الإثير الصورة ترد في كلام العرب عى ظاهرها وعلى معنى حقيقة الشيء ،وهيئته وعلى معنى صفته ،ويقال :صورة الفعل كذا وكذا "أي هيئته"أو صورة الأمر كذا وكذا أي صفته .كما ورد مصطلح الصورة في القرآن الكريم في عدة مواضع منها قول الله تعالى:طفي أي صورة ما شاء ركبك" وفي قوله أيضا:"خلق السماوات والأرض بالحق وصوركم فأحسن صوركم وإليه المصير".[1][2]

يعرف الصورة عبد القاهر الجرجاني:"الخلاف بين بيتين من الشعر مشتركين في معنى واحد فهو ينكر السرقات في الشعر جملة ،ويرى أن لكل شاعر أسلوبه ونظمه في عرض معانيه وأن البيتين من الشعر مهما بلغ إتحادهما في المعنى لا بد من وجود إختلاف بينهما وذلك الخلاف هو الذي يطلق عليه عبد القاهر الجرجاني مصطلح الصورة.[3][4]

فجاء في أسرار البلاغة "إعلم أن الشاعرين إذا اتفقا لم يخل ذلك من أن يكون الغرض على الجملة والعموم أو في وجه الدلالة على ذلك الغرض،والإشتراك في الغرض على

[1]ابن منظور"لسان العرب"دار صادر،ط1،بيروت،لبنان،1999،ص473.
[2]سورة التغابن الأية 03.
[3]عبد القاهر الجرجاني"نظرية النظم وقراءة الشعر"تأليف محمد سعد،المكتبة الشاملة،ج1،ص3
[4]عبد القاهر الجرجاني"نظرية النظم وقراءة الشعر" ،ص32.

العموم أن يقصد كل واحد منهما وصف ممدوحه بالشجاعة والسخاء أو حسن الوجه والبهاء،أو وصف فرسه بالسرعة،أو ما جرى على المجرى ،وأما وجه الدلالة على الغرض ،فهو أن يذكر ما يستدل به على إثباته له بالشجاعة والسخاء مثلا:وذلك ينقسم أقساما منها:التشبيه بما يوجد هذا الوصف فيه على الوجه البليغ والغاية البعيدة.[1]

ويذهب الدكتور محمد غنيمي هلال:إلى مفهوم الصورة فيقول:"وضح من كلامنا....أن الصورة لا تلتزم ضرورة أن تكون الألفاظ أو العبارات مجازية ،فقد تكون العبارات حقيقية الإستعمال وتكون مع ذلك دقيقة التصوير ،دالة على خيال خصب.

فمحمد غنيمي هلال لم يشترط في تشكيل الصورة مجازية الكلمة أو العبارة بل يرى أن العبارات الحقيقية قد تكون دقيقة التصوير.

كما تعرف بشرى موسى صالح الصورة بأنها:"التركيبة اللغوية المحققة من امتزاج الشكل بالمضمون في سياق بياني خاص أو حقيقي موح كاشف ومعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية.[2]

-ورد في كتاب الص[3]ورة الفنية في شعر ابن المعتز أن الناقد عبد القادر القط يرى أن الصورة في الشعر:"هي الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ والعبارات بعد أن ينظمها الشاعر في سياق بياني خاص ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكاملة في القصيدة مستخدما طاقات اللغة وإمكاناتها في الدلالة والتركيب والإيقاع والحقيقة والمجاز والترادف والتضاد والمقابلة والتجانس وغيرها من وسائل التعبير الفني".

كما نجد قدامة بن جعفر في تناوله لقضايا الشعر والمعنى ،اهتماما كبيرا بالصور فهو يعرف الشعر "أنه قول موزون ومقفى يدل على معنى"[4]

---

[1] زيد بن محمد بن غانم الجهني"الصورة الفنية في المفضليات"مكتبة الملك فهد الوطنية،ط1،ج1،المدينة المنورة،ص41

[2] ينظر المرجع نفسه،ص54

[3] مصطفى ناصف"الصورة الأدبية "دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع،ص3.

[4] قدامة بن جعفر"نقد الشعر"المكتبة الشاملة،ص02

ويقصد بهذا القول أن الشعر صورة لا تتحقق إلا من خلال توافر اللفظ والمعنى والوزن والقافية كما نجد أبي هلال العسكري يتكلم عن الصورة أكثر وضوحا وبين موضوع الإبانة عن حد الصورة البلاغية بقوله"البلاغة كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه في نفسه لتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن ،وإنما جعلنا المعرض وقبول الصورة شرطا في البلاغة لأن الكلام إذا كانت عبارته رثى معرضه خلقا لم يتسم بليغا و إن كان مفهوم المعنى مكشوف

فهنا يرى أبو هلال أن جودة اللفظ وصفائه وحسنه وبهائه وتزاهته ونقاءه ثم وصفه وصفا حسنا وصحيحا في تركيب الكلام ،كلها أمور من شأن الشعر ،وهي المعيار الذي يفاضل به بين شاعر وآخر.[1]

أما ابن طباطبا فنجد أن مصطلح الصورة عنده "نوع من التشبيهات ويقول التشبيهات على ضروب مختلفة فمنها تشبيه الشيء بالشيء صورة وهيئة ومنها تنبيه به معنى ومنه تشبيه به حركة ومنها تشبيه لونا ،ومنه تشبيها به صوت ،وربما امتزجت هذه المعاني بعها بعضا فإذا اتفق في الشيء المشبه بالشيء معنيان أو ثلاثة معاني من هذه الارصاف قوي التشبيه ،وتأكد الصدق فيه، وحسن الشعرية به الشواهد الكبيرة المؤيدة له".

نرى أن ابن طباطبا يرى الصورة الشعرية أنواع وهذه الأنواع عبارة عن تشبيهات وهي أنواع مختلفة ولكن كلما امتزج معنيان أو نوعين كلما تأكد الصدق وحسن الشعر.

ومن النقاد الذين اعتمدوا على العقل أساسا للتعريف فنجد أحمد دهان يقول:"إن الصورة الشعرية هي تركيبة عقلية وعاطفية معقدة تعبر عن نفسية الشاعر وتسترعي أحاسيسه وتعين على كشف معنى أعمق من المعنى الظاهري للقصيدة عن طريق ميزة الإيحاء و الرمز فيها والصورة هي عضوية في التجربة الشعرية ذلك لأن كل صورة داخلها تؤدي وظيفة محددة متآزرة مع غيرها ومسايرة للفكرة العامة.

[1] أبو هلال العسكري"الصناعتين:الكتابة والشعر،دار الكتب العلمية،ط2،بيروت،لبنان، 1984،ص167.

أما عبد القادر الرباعي فيقول أن الصورة لا تعني عندي ذلك التركيب المفرد الذي يمثله تشبيه أو كناية أو استعارة فقط ولكنها أيضا ذاك البناء الواسع الذي تتحرك فيه مجموعى من الصورة المفردة بعلاقاتها المتعددة حتى تصير متشابك الحلقات والأجزاء بخيوط دقيقة مضمونة بعضها إلى بعض في شكل إصلاحات على تسميته بالقصيدة.[1]

ويذهب هلال مذهبا آخر ا حيث ينفي اشتراط مجازية الكلمة أو العبارة لتشكيل الصورة إذ إن العبارات الحقيقية قد تكون دقيقة التصوير ذات الخيال الخصب وإن لم تستعين بوسائل المجاز يقول"إن الصورة لا تلتزم ضرورة أن تكون الألفاظ أو العبارات مجازية فقد تكون العبارات الحقيقية الاستعمال وتكون ما ذلك دقيقة التصوير دالة على خيال خصب.

ومنهم من اعتمد على الوجدان والشعور في تعريف الصورة يقول عز الدين اسماعيل"الصورة دائما غير واقعية وإن كانت منتزعة من الواقع ،لأن الصورة الفنية تركيبة وجدانية تنتمي في جوهرها إلى عالم الوجدان أكثر من انتمائها إلى عالم الواقع".[2]

أما عبد القادر قط يتعرف الصورة بشكل أوسع أشمل فيقول:"هي الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكاملة في القصيدة مستخدما طاقات اللغة وإمكاناتها في الدلالة والتركيب والإيقاع والحقيقة. والمجاز والترادف والتضاد والمقابلة والجناس وغيرها من وسائل التغير الفني.أما عهود عبد الوحيد العكيلي فيرى أن الصورة :"هي التي تبرز العمل الفني ،وتنقل الفكر والعاطفة من خلاله ،فهي الجوهر الشعر ،وأساس الحكم عليه".[3]

و نرى من خلال تعريف عهود عبد الوحيد أن الصورة هي التي تعني العمل الفني وتكيسه إبداعا وجمالية كما أنها هي التي تساهم في نقل العواطف والفكر من خلال التعبير الحسي.

---

[1] ينظر المرجع السابق،ص54

[2] عبد القار الجرجاني"نظرية النظم"ص84

[3] علي البطل"الصورة في الشعر العربي"دار الأندلس،ط3،بيروت،لبنان،1983،ص25.

في حين نجد جابر عصفور يعرفها:"بأنها جوهر الثابت والدائم في الشعر ،فالصورة الشعرية دلالات مختلفة ،وترابطات متشابكة ولذلك أصبحت تحمل لكل إنسان معن مختلف.

فالصورة إذن هي الجوهر الثابت والدائم.

ومنه نرى أن جابر عصفور قد رأى ان الصورة هي تلك الجوهر الثابت في الشعر،لأنها مترابطة ،متشابكة فيما بينها وكما تحمل دلالات مختلفة.

يتضح مما سبق أن الصورة الشعرية عند الباحث تعني الأداة التي يعبر بها الشاعر عن تجاربه وأساسها إقامة علاقات جديدة بين الكلمات في سياق خاص يصرح الدلالات الجديدة في إطار الوحدة والإنسجام مع اعتبار العاطفة وإيحائها سواء كانت الصورة حقيقية أو مجازية ،ويمكن القول:"أن الصورة تعبير عن نفس او عن نفسية الشاعر...وهي تعين على كشف معنى أعمق من المعنى الظاهري للقصيدة.

و الصورة في رأي بعض النقاد هي الشكل في النص الأدبي و تقابل المضمون الذي هو الفكرة أو المعنى في النص'فعلى هذا تكون الصورة التي هي الشكل في النص الأدبي شاملة للعبارة 'أي أسلوب 'و للخيال الذي يلون العاطفة و يصورها.[1]

يعد موضوع ثنائية الأنا والآخر موضوعا فلسفيا،حيثيرجع إلى الفلسفة اليونانية القديمة.أخذ حيزا كبيرا ومهما في الميدان الإبداع الأدبي والبحث العلمي،وذلك من خلال إبداعات وقدرات المبدعين والأدباء الذين جعلوا هذه الإشكالية موضوعا مهما في أعمالهم الأدبية الإبداعية.

2-ظهور مجال علم الصورة:

عمل الصورة من أحدث الجالات في الأدب المقارن وأمها،وهو ما تجمع عليه الدراسات في هذا المجال التي تؤكد صحة انتمائها إليه،ولقد اخذ هذا العلم اهتماما كبيرا من قبل المقارنيين،ترجع بدايات هذا الفرع من فروع الأدب المقارن إلى النصف الأول من

[1] ينظر المرجع نفسه،ص26.

القرن التاسع عشر عندما هاجرت مدام دوستايل إلى ألمانيا ضيقا بما تعانيه فرنسا أيامها من طغيان تابليون ففوجئت بما رأته هناك وأعجبت بما شاهدته من جمال الطبيعة الألمانية،وبمناقب الشعب الألماني،وغناهم الأدبي المشبع بروح الفلسفة ،فكتبت عن ذلك في كتاب وضعت له عنوانا بسيطا ألمانيا رغبة منها في فهم الأنا والآخر.

يتحدث محمد غنيمي هلال [1]عن هذا الصنف في الدراسات الأدبية بقوله هذا أحدث ميدان من ميادين البحث في الأدب المقارن ،لا ترجع أقدم بحوث فيه إلى أكثر من نحو ثلاثين عاما،ولكنه مع حداثة نشأته غني بالبحوث التي تشير بأنه سيكون من أوسع ميادين الأدب المقارن وأكثرها روادا في المستقبل وهو أيضا أحد الأنشطة المفضلة في الأدب المقارن حيث بدأت هذه المدرسة مع جان ماري كاريه ثم أخذها ماريو فرانسوا غويار ودافع عنها ونشرها في الفصل الأخير من كتابه الصغير ضمن سلسلة كوسيج ماذا أعرف عام 1951 ومن ثم توالت الدراسات في هذا النوع وأخذ يتطور بشكل سريع.

3-ظهور أنواع الصورة:

إن المتتبع لصورة الشعوب في الأعمال الأدبية يجد أن هناك نوعين من الصور أولهما:انعكاس صورة شعب من خلال شخص يمثلهم والثانية :صورة شعب في أدب شعب آخر.

أ-صورة شعب في أدبه القومي:

في هذا النوع من الصور تتحدث الأنا عن الأنا ،وتصور نفسها وهو لا يتعدى إطاره القومي واللغوي ،وفهو إذن يبحث عن فنيات الأديب في طرق موضوعه أو فنيات الأدباء في تناول الموضوع ،بالوصف والتحليل مثل صورة الفرنسيين [2]في أدبهم أو صورة المرأة الألمانية لدى أديب ألماني ،أو صورة المرأة المصرية في روايات نجيب محفوظ أو في الأدب المصري عموما،وهنا يجب أن ندرك أن الأديب الذي يصور مجتمعه هو ابن ذلك

[1]محمد غنيمي هلال"الأدب المقارن"دار الثقافة،دار العودة،ص419.
[2]عبد المجيد حنون"صورة الفرنسي في الرواية المغربية"ص61

المجتمع الذي ولد ونشأ فيه،وهو يعرف العديد من أبنائه وتربطه ببعضهم علاقات قرابة وصداقة وغيرها من العلاقات الاجتماعية والنفسية،وهكذا فإن المعرفة العميقة والشاملة بالمجتمع الذي يصوره الأديب تجعل الصورة التي يرسمها في أدبه غنية ودقيقة وتفصيلية ،وذلك خلافا لصورة يقدمها أديب الشعب أجنبي لا يعرفه حق المعرفة ،أليس أهل مكة أدرى بشعابها وبالتالي تصبح هذه الأعمال التي ينتجها هؤلاء الأدباء مرآة صافية صقيلة رائعة لحياة الشعب يرى فيها هذا الأخير نفسه،فترسخ في ذهنه مجموعة من الصور ،بحيث تنطوي هذه الصور على بعد معرفي مؤثر ،يضيف إلى وعي الجماعة بذاتها بل يسهم في تشكيل هذا الوعي،فيصبح التعرف المصاحب تأمل صورة المرأة مقدمة للفعل الخلاق وباعثا على التغير نحو الأفضل[1] .فمن المعروف أن الأديب الحق يحمل هموم مجتمعه ويحرص عليه حرصه على نفسه،فهو ملاذ أفراحه وأحلامه،[2]تجتمع فيه ذاكرة الماضي إلى جانب رؤى المستقبل ،لذلك حين يقدم صورة لمجتمعه تكون مطبوعة بطابع العلاقة الاجتماعية والنفسية والأخلاقية الوثيقة التي تشد الأديب إى مجتمعه ومايشكل هويته،وقد يرسم الأديب أحيانا صورة سلبية لمجتمعه،وهذا ما نلاحظه في كثير من الأعمال الأدبية ،لكننا نجد وراء تلك الصورة رغبة عارمة في الإصلاح والتغيير نحو الأفضل،وليس الإساءة إلى المجتمع وهدمه،وهذا رأي على صورة يرسمها أديب لمجتمع لا تربطه به مشاعر الانتماء والتوحد.

ب-صورة شعب في أدب شعب آخر:

إن كل شعب يحمل في ذهنه صورة عن الشعوب الأخرى،فقد يتأثر أديب ما بشعب آخر،نتيجة زيارته لهذا البلد ،أو ما سمعه عنه،أو ما قرأه من آدابه ،وحينذاك يرسم صورة لهذا الشعب تترسخ في أذهان مجتمعه،الأمم لا تهتم إلا بالشعوب المجاورة لها أو التي تشترك معها في مسألة او أن يكون لها مصالح اقتصادية أو تريد كسب ودها أو تخشى بأسها وبذلك يكون الفضول وحب اكتشاف الآخر الذي اختلف معه في عاداته وتقاليده ولغته

[1] ينظر المرجع نفسه،ص63.
[2] عبد المجيد حنون "صورة الفرنسي في الرواية المغربية"ص68.

ومعتقده هو الدافع إلى رصد صورة علاقات شعوب متأثرة بشعوب أخرى فالتأثير عامل مهم لتشكيل تلك الصور.[1]

وإذا كان النوع الأول يرتبط ارتباطا أساسا بعامل اللغة ولا يخرج عن دائرة قوميته،فإن هذا النوع من الموضوعاتيتعدى الإطار اللغوي والمكاني،فنجد صورة فرنسا في بريطانيا العظمى ،صورة روسيا في الحياة الثقافية الفرنسية،صورة ايطاليا في الأدب الفرنسي ،صورة الجزائر في الأدب الفرنسي .[2]

يتكون هذا النوع من الدراسات من شقين:

أ.1-صورة شعب يصوره أديب ما من أمة أخرى:

وتأتي هذه الصورة بعدما يتأثر أديب ما من شعب معين بشعب آخر،فيرسم صورة لهذا الشعب في أعماله الأدبية ترتسم في أذهان قومه مثل العراق في أدب شيركوبيكهس أو إسبانيا في أدب هنغواي أو بريطانيا في أدب فولتير أو صورة الشرق في أدب فيكتور هيغو ـأو ايطاليا في أدب ستاندال ،وفي هذه الحالة يتم التركيز على حياة الأدب فيتضح مدى صلته بهذا البلد الذي كتب عنه في أدبه،ثم يتبين كيف استقى معلوماته عنه،ويشرح الأفكار العامة ،التي تضافرات على تكوين هذه الصورة وإلى أي مدى كانت هذه الصورة التي رسمها لذلك البلد صادقة أاو كاذبة.

أ.2-صورة شعب في شكل أدبي معين لدى شعب آخر:

تنتج عن طريق تأثير شعب في آخر وتركيز أبناء الشعب المتأثر على تصوير الشعب المؤثر في فن أدبي كالرواية أو القصة القصيرة أو المسرحية أو الشعر[3]

4-عناصر تكوين الصورة الأدبية:

[1]ينظر المرجع نفسه،ص69

[2]ينظر المرجع نفسه،ص69.

[3]عبد المجيد حنون"صورة الفرنسي في الرواية المغربية"ص69.

يرى كثير من الباحثين أن سر الفن يكمن في الصورة وهي التي تصلنا عبر مخزون واسع من الكلمات التي ترسم لنا الثنائية الإنسانية التي تتجلى عبر صورة الذات والآخرنفنعايش بفضلها إشارات رمزية تمثيلية موحية تسجل خلاصة الخبرة الإنسانية ،وتقترح أشكالا أرقى للحياة،وتدعو البشر لأن يكونوا أحسن مما هم عليه.

ومن مزايا الصورة الأدبية أنها تصلنا ممتزجة بالإنفعال الذاتي للفنان وبرؤسته الخاصة،التي تندمج مع الرؤية العامة التي تسود في المجتمع لعل أهم ما يمنح جمالية الصورة هو تجسيدها لحظة تمرد تمنحها حيوية وجمالا،وبذلك تظفر عبر الإبداع بما يجسد الواقع والمثال معا.

إذا تبتعد الكلمات الأدبية عن الحياة بفعل الانفعال ،فليس من المعقول أن يرسم الأديب لنا صورة الذات بالدلات نفسها التي ترسم فيها صورة الآخر،وإن كان يستخدم الكلمات ذاتها،فاللغة كائن حي يستطيع المبدع أن يشكل مفاهيم ومشاعر عبر مفردات ينتقيها ،ويضعها في سياق خاص،يبرز عبره ملامح الصورة التي يريد أن يشكلها في ذهن المتلقي ،ويركز الأضواء على دلالات بعينها،ويتفي دلالات أخرى،فتبدو الصورة نفسها تارة ايجابية وتارة سلبية .[1]

إن الباحث في الصورة يتوجب عليه أن ينتبه إلى الهيمنة اللغوية التي تمارسها الحكومات القوية على الأمم الأخرى الضعيفة،وينتبه في الوقن نفسه أنه ليس كل تأثر بالآخر هيمنة ،إذ لا تقوم حضارة إلا بالانفتاح على مؤثرات ثقافية قدمتها الحضارات.

الأخرى فمثل هذه المؤثرات تشكل علاقة صحية مع الآخر لابد منها،وتمهد لنشوء صورة وضوعية له،في حين نجد الهيمنة تدمر أية إمكانية لمثل هذه العلاقة إذ تسمح الآخر لصالح الذات وتسهم في تشكيل صورة سلبية عن الآخر،وتنشر العداء والكراهية حيثما حلت.

[1] ماجدة جمود"صورة الآخر في التراث العربي"الدار العربية للعلوم"بيروت،ط1،1431/2010ص20-21.

إن شيوع لغة القوي يعني فرض وجهة بقوة المال والإعلام ،لهذا يتوجب على الباحث في الصورة أن يميز بين الكلمات التي تنتمي إلى بلده ،وبين الكلمات الغازية دون ترجمة،وأصبحت جزءا من الفضاء الثقافي والاجتماعي ،وشكلت بنية بعض نصوص أدبه ،وبذلك هيمنت على خيال المثقف وعقله،حتى باتت لغة الآخر جزءا من وجدان المبدع،وفي كثير من الأحيان ومكمن الخطورة عند أولئك المبدعين الذين ألغو وعيهم النقدي بعد أن استلبتهم ثقافة الآخر.[1]

إذا الصورة تقوم على أساس ثقافي محظ لأنها صورة عن الآخر،ولها أبعاد متعددة رغم أن البعد الإيديولوجي قد غطى جل حيثياتها.

ومن المعروف أن الصورة لغة تختلط فيها المشاعر بالأفكار وهي تررجع إلى واقع ترسمه وتدل عليه لكن الخيال هو الذي يرفع لغة الصورة إلى مرتبة الجمال الفني وإلى مرتبة الإدهاش وهو في الوقت نفسه تعبير عن المجتمع والثقافة إذ يجسد المسرح والمكان الذي تعبر فيه اللغة عن العالم الداخلي والخارجي بطريقة مجازية ،فالصورة خير معين لرؤية الذات فنتعرف على ملامحنا وملامح الآخر ونعايش ما نخفيه في داخلنا من حقائق وأوهام حول ذواتنا وحول الآخر،وبما يسود المجتمع من أحداث وأقوال وإشاعات وبذلك بات الخيال الاجتماعي مشكلا أفق البحث عن صورة الآخر،ومن هنا نجد الخيال يشكل جزءا لا يتجزأ من التاريخ بالمعنى الوقائعي والسياسي والاجتماعي.

وهناك مظاهر أخرى تتدخل في تشكيا الصورة مثل:"الصراع السياسي والعداء بين الشعوب والاستعمار ونتائجه الايديولوجية والثقافية،كما أننا نجدها تتدخل في مضمون الخيال الاجتماعي في لحظة تاريخية معينة،لذلك من الواضح ارتباط الخيال بماضي المجتمع وصيرورته.[2]

وبما أن الصورة تعد نتاجا مشوها للواقع،إلى حد ما فإن الخيال الذي ندرسه لا يمكن أن يكون بديلا عن التاريخ السياسي والاقتصادي.

[1] المرجع نفسه،ص21.
[2] ماجدة جمود"صورة الآخر في التراث العربي"ص69.

إن المتأمل للصورة يلاحظ خضوعها لعناصر مشوهة لها،وخاصة شيوع النمط الذي يعد شكلا أوليا للصورة أو كاريكاتوريا ،تتجلى هذه الصورة من خلال كذب النمط أو تأثيراته المؤذية على المستوى الثقافي،فتبعد عن التجدد وتبدو أقرب إلى الآلية والجمود مما يسيء إليها ويبعدها عن الرمزية والتعدد الدلالي ،وبذلك عندما يشيع النمط في الصورة تختزل إلى رسالة ويبعدها عن الرمزية والتعدد الدلالي[1]،وبذلك عندما يشيع النمط في الصورة تختزل إلى رسالة واحدة وجوهري ،هي بالنتيجة صورة أولى وأخيرة للأخر ،أي صورة جامدة تصلح لكل زمان دون أن يطرأ عليها أي تغيير،وبذلك يبتعد النمط عن الصورة الحقيقية ليفسح المجال للصورة المشوهة،التي تعتمد النظرة الثابتة،وتجسد زمنا ماضيا متوقفا تبدو تعبيرا عن معرفة تسمى جماعية تسعى كي تكون صالحة في كل لحظة تاريخية،فإذا كانت ليست متعددة الدلالات لكنها تبدو متعددة السياقات ،إذ يمكن استخدامها في أية لحظة ،وبذلك يطرح النمط بصورة خفية طبقة ثابتة وتفرعا ثنائيا للعالم والثقافات والأديان والأعراق[2]

ويعد النمط المعبر عنه بالسرد والصورة والسيناريو السينما والمسرح والتلفاز،والذي بات من إحدى أهم الوسائل التي تشكل صورة الآخر،بداية ممكنة لتحولها إلى أسطورة التي هي معرفة وسلطة وتاريخ للجماعة ،وهي قصة أخلاقية تقوي تماسك الجماعة التي أنتجتها لذلك نجد الصورة موازية للأسطورة لتبينا أن الصورة مثل الأسطورة تمتلك القدرة على الرواية وإحياء قصة ما وجعلها نموذجية ،فتتحرك في عصرنا مثلما تحركت في الماضي ،كما تمتلك القدرة على رسم شخصية خارقة تحيط بها المبالغات والأوهام،صحيح أن الأسطورة تستطيع أن تنتسب للماضي والحاضر والمستقبل وأن الصورة تبدو أكثر التصاقا بالحاضر ،لكن الفن قادر على تقديمها عبر دلالات غنية توحي بالماضي والحاضر كما توحي بالمستقبل".

[1] ينظر الرجع نفسه،ص69.
[2] ماجدة جمود"صورة الآخر"ص70.

"كذلك فإن المعطيات التاريخية التي تعني الاخبار ذات الطبيعة المزدوجة كما تعني خطوط القوى التي تتحكم بالثقافة في لحظة معينة،لها دور لا نستطيع إغفاله في تشكيل الصورة،كما يستطيع التحليل النصي أن يساعد في الكشف عن الدلالة الاجتماعية والثقافية للصورة،كذلك تفيد الدراسة المعجمية للصورة الكشف عن الدلالة النصية ،وهو ما يمكننا من رؤية مدى انسجام النص الأدبي مع الوضع الثقافي و الاجتماعي،فتتم متابعة كيفية تداخل التقديم الأأدبي للأجنبي باثقافة المحلية.[1]

إذ ليس الأمر مقابلة النص مع [2]سياقه الأدبي من أجل فهم بنيته وتتبع كيفية اختيار كل عنصر من عناصر الصورة الثقافية –الذي بات عنصرا ضمن النص ليكون مرجعا ثقافيا للمتلقي –بل إن الأمر يجب أن يكون أيضا خارج النص أي محاولة مقابلته بالتفسيرات التي يقدمها المؤرخون،فيتم فهم النص ووظيفة الصورة التي يقدمها عبر دوره من خلال التاريخ خاصة تاريخ العقليات ،لذلك يعرف التاريخ بوصفه:دراسة التأملات والعلاقات الجدلية بين الشروط الموضوعية لحياة الناس التي يعيشونها،والطريقة التي تروي بها هذه الحياة.

إن من الضروري أيضا أن ينتبه الباحث في الصورة إلى الفضاء الزمني ضمن النص نفسه،إذ من المفيد ملاحظة الإشارات المتسلسلة تاريخيا ،لأن التواريخ التي يقدمها النص تساعد على إعطاء صورة دقيقة للأجنبي ،شرط أن نكون حذرين إزاء كل ما يمكن أنيبدو أسطرة للزمن التاريخي والسردي عند اللزوم،كما يجب الانتباه إلى أن الأنماط يمكن أن تمنح النص بعدا تاريخيا ذا قيمة قصوى،ولا شك أن تقديم الأجنبي يجعله شريكا في الزمن الأسطوري بعيدا عن الحدود المألوفة،الأمر الذي يعني ابتعادا عن الزمن المتتابع للتاريخ السياسي –الذي يسير في اتجاه واحد لا يتغير ولا يتوقف-،وهكذا يبدو لنا أن هناك تعارضا بين الزمن الخطي والزمن الدائري للصورة التي ينتجها الإبداع،وتخصص دراسة الصورة الإطار المكاني الزمني من أجل فهم أسسها،وهذا الإطار لا يعني أنه مولد لرسم

[1]ينظر المرجع السابق،ص71
[2]ينظر المرجع نفسه الصفحة نفسها.

وصـــفي خارجي،إنـــه جـــزء مـــن عناصـــر أخـــرى متشـــابكة فـــي الســـرد – الشخصيات،الراوي..يستطيع أن يقدم لنا بعض التفسيرات المضيئة.[1]

إذا علينا دراسة إجراءات تنظيم صورة الآخر،أو نحاول إعادة تنظيمها ،مثل:طريقة التحديد الفضائي والتفرعات الثنائية الناتجة عن حلم اليقظة والأوهام حول الفضاء الأأجبي-الأعلى مقابل الأدنى،الحركات المتصاعدة مقابل حركات السقوط والإنهيار.

يجب الانتباه إلى كل ما يجعل الفضاء الخارجي مماثلا للفضاء الداخلي خاصة حين يستطيع الفضاء الأجنبي أن يعيد إنتاج مشهد عقلي ويعطيه دلالة تساعد على نسج علاقات بين الفضاء الجغرافي على المستوى المجازي على الأقل –مثل دراسة الأماكن المفضلة والمناطق المعطاة أهمية أي قيما ايجابية أو سلبية ،ومن قبل الأديب مستخدما كل ما يسمح بترميز الفضاء،أو تقديسه وأساليب تؤدي إلى انفتاحه و إزدهار الحياة في ربوعه أو إنغلاقه وظلمته.

ومن العناصر المكونة للصورة أيضا تلك العناصر التي تتكثف فيها عبيرات الآخر وسماته وحركته وعلاقته الإجتماعية،أي تلك العناصر التي تحمل دلالة خاصة ضمن بنية النص،وبذلك نجد كثيرا من العلاقات داخل النص الأدبي مفيدة من أجل دراسة الآخر،مثل دراسة العلاقات الذكرية والأنثوية ضمن الإنتساب إلى ثقافات متنوعة –علاقات الرجل العربي العاطفية والإجتماعية مع الأمرأة العربية أكثر من علاقات المرأة العربية مع الرجل الغربي،كذلك الرجل الفرنسي يغامر مع إمرأة إسبانية ولا يحدث النقيض.

"وهناك الوصف الذي يساهم أيضا في تشكيل الصورة ،حيث يساعد على تقديم صورة دقيقة الآخر،من خلال ثنائيات متناقضة تدمج الطبيعة والثقافة مثل متوحش مقابل متحضر،وبربري مقابل مثقف وإنسان مقابل حيوان،ورجل مقابل إمرأة،وكائن متفوق مقابل كائن ضعيف ،كما يساعد الوصف أيضا على تقديم جسد الآخرومنظومة قيمه ومظاهر ثقافته بالمعنى الإناسي –الأنتروبولوجي إي علم تطور الإنسان-فتتم دراسة كل ما يتعلق

[1] ينظر المرجع السابق،ص72.

بجسده وثقافته وبذلك يساعدنا هذا العلم من الناحية الثقافية ،على تكوين صورة أدبية تعد شاهدا ووثيقة عن الآخر الأجنبي،فتتمكن عبر هذا العلم من فهم كيفية كتابة النص،وماهي العناصر التي تسهم في وصفه وإدراكه في الوقت نفسه،فنستطيع أن نتعرف على معالم ثقافة الآخر او السكوت عنه لصالح الأنا.[1]

ويبدو لنا عنصر السيناريو هاما في توضيح صورة الآخر،خاصة إذا استفدنا من علم الدلالة –الذي هو حقل معرفي يدرس حياة الرموز ضمن الحياة الإجتماعية ،كما يدرس تطور التواصل بين الأمم ولذلك لم تعد الصورة سلسلة من العلاقات التراتبية والشكلية في نص معين،بل صارت توضيحا كاملا لحوار بين ثقافتين من خلالها يقدم الأأجنبي عبر تشكيل جمالي وثقافي أي يقدم عبر الصورة السيناريو .[2]

"ومن ثم يمكن تعريف الصورة السردية بأنها صورة لغوية تخيلية وإبداعية وإنسانية،تتشكل في رحم السرد ،وتفاعل مع مجموعة من المكونات التي تشكل الحبكة السردية،لذا يمكن الحديث عن صورة الموضوع،وصورة اللغة وصورة الفضاء ،وصورة الشخصية وصورة الراوي وصورة الإيقاع وصورة الإمتداد وصورة التوتر وغيرها من الصور التي تنبسط من داخل النص السردي ،ففي الحقيقة ليست الصورة تكوينا متحققا خارج بنية النص ومكوناته،بما فيه البنية الذهنية بل هي وجود ممتزج عضويا بالفقرة والمشهد والمقطوعة والحوار والحوداث والفضاء والشخصية والموضوع،وكذا بالانطباعين الذهني والنفسي اللذين يثيرهما ذلك المجموع في المتلقي.

ثانيا:الآخر التأسيس النظري:

1-مفهوم الأنا والآخر:

1.أمفهوم الأنا:

لغة:

[1] جميل حمداوي"بلاغة الصورة السردية الموسعة أو المشروع النقدي العربي الجديد"د.ط،ص58

[2] ينظر المصدر نفسه،ص89

الأنا هو "ضمير رفع منفصل للمتكلم والمتكلمة:"أنا قلت ذلك"ضمير المتكلم ويراد به عند الفلاسفة العرب الإشارة إلى النفس المدركة،أما في الفلسفة الحديثة فتشير كلمة أنا في الفلسفة الحديثة فتشير كلمة أنا في معناها النفسي والأخلاقي إلى الشعور الفردي الواقعي،وغلى ما يهتم ب الفرد من أفعال معتادة ينسبها إلى نفسه،الشخص المفكر"[1]

حيث إن هذا التعريف يشير إلى أن الضمير يطلق على المذكر والمؤنث معا،وهو متعلق بالشخص المتكلم في حدا ذاته وعند الفلاسفة يمثل الضمير أنا المدركة الواعية.

اصطلاحا:

يعرف الدكتور"سعد فهد الذويخ "الأنا –الآخر في الدراسات الأدبية والنفسية :"تتكون الشخصية الإنسانية من:الأنا،الذات،فالنفس البشرية هي الأنا،والأنا هي الذات ،وما تحمله من مظاهر وخصائص ثقافية أو نفسية أو إيديولوجية عما تشمل عليه من أفكار ،وآمال وطموحات وصراعات وتوترات وبالتالي فإن الذات تشكل مركز الشعور عند الإنسان أي نفهم من هنا أن الذات هي الأأنا وهي المكون الأساسي في حركة الفكر والثقافة،حيث تشكل الذات الجانب الشعوري للإنسان وماتحمله من سمات فيزيولوجية.[2]

عرف سيقموند فرويد الذات على أنها مجموعة من العمليات هي:الإدراك والتفكير والتذكر المسؤولة عن تطوير وتنفيذ خطة عمل للوصول إلى إشباع لاستجابة للبواعث الداخلية".

فالأنا هي التي تقوم بالفعل كالتفكير والتذطر والإدراك،وهي المسيطرة على المركز الشعوري للإنسان. يقول الفيلسوف ديكارت في مقولته الشهيرة"أنا أفكر إذن أنا موجود"حيث نفهم من خلال هذا القول أن الإنسان مادام يفكر فهو موجود.[3]

1.ب- *مفهوم الآخر:*

[1]لويس معلوف"المنجد في اللغة والإعلام"دار الشروق والمكتبة الشرقية،لبنان،1991،ص19مادة أن
[2]ميشيل فوكو "الإنهمام بالذات"ت:جورج أبو صالح،مركز الإنماء العربي،لبنان د.ط،1992،ص32.
[3]عبد الرحمن بدوي"دراسات في الفلسفة الوجودية،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط1،1980، ص23.

لغة:

جاءت لفظة الآخر في معجم المنجد على أنها:"أحد الشخصين أو الشيئين ويكونان من جنس واحد،أو ما يدل على فرقا ،على تمييز بين شخص أو شيء مقصود وأشخاص أو أشياء ذاتها والجنس نفسه:"إنك تحب آخر"أي إنمن تحب ليس بالشخص المقصود ذاته بل غيره"يمعنى أأن لفظ الآخر يأتي بمعنى الغير سواء أكان إنسانا أو شيئا آخر.[1]

كما وردت لفظة الأخر في لسان اللسان لابن منظور الآخر:أحد الشيئين والأنثى أخرى،والآخر بعمنى غير بمعنى أن لفظ الآخر يدل على غير التي هي حرف استثناء.

اصطلاحا:

يعرف"صلاح صالح"مصطلح الآخر في كتابه"سرد الآخر"بأنه"الكلية المزدوجة للكينونة الذاتية وتعويضها في الآن نفسه،وهو يتداخل وتتمرأى في سلسلة غير منتهية ،تبدأ من أدق الانشطارات الذاتية في علاقة الذات بالذات،عبر الزمن شديد الصالة ولا تنتهي إلا بانتهاء الوجود البشري في الزمان والمكان،فالفرد يمكن آخر حتى بالنسبة إلى نفسه قبل مدة قصيرة ،ويمكن أن يتحول إلى آخر بعد مدة قصيرة أيضا،وكل شخص هو آخر بالنسبة لأي شخص على وجه الأرض"[2]

2-وسائل تلقي صورة الآخر:

احتلت في عصر العولمة المرئية في الفضائيات والسينما والفن التشكيلي مكانا بارزا ،وفهي تحمل رسالة يتم تلقيها بسهولة ومتعة،فلقد أصبح العالم قرية واحدة،بفعل التقدم الهائل في تكنولوجيا الإعلام والإتصال،فما يحدث في أقاصي العالم يمكن أن يصلنا في التو واللحظة صوتا وصورة لهذا كثيرا ما تساعد الصورة على تشكيل أفكار ومشاعر معادية أو متفهمة مثلما تفعل لغة الكتابة.

[1] ينظر المرجع السابق،ص23
[2] لويس معلوف "المنجد في اللغة والاعلام ،ص25

هنا تبدو أهمية الصورة وخطورتها ،فهي سريعة الانتشار ،ليست بحاجة إلى ترجمة كما أنها على نقيض الأدب لا تحتاج في تلقيها إلى وسطاء في حين يحتاج الأدب إليهم ليس فقط من أجل الترجمة،بل من أجل التسويق ومنافسة الصورة المرئية ،وهو بأمس الحاجة إلى نقاد وصحفيين يسوقونه ويعملون من أجل أن يتم تلقي الصورة التي يقدمها بشكل واع.

وقد أسهم بعض الإعلام اليوم في تلقي الصورة المشوهة عن الآخر،التي تعتمد مجموعة أوهام ترغب دولة أو فئة ما في تشويقها ففي غمرة التدفق المعلوماتي والتكنولوجي سوقت إلينا الحداثة في شكل ترسانة من المصطلحات الحضارية[1] والصور والأنماط الثقافية ،على غرار أنظمة التشغيل والبرمجيات والملفات المعلوماتية وغيرها،وهكذا بقي التواصل والحوار مع الآخر الأجنبي مشحونا بالتمايز والصدام بين ثقافة الأسفل وثقافة الأعلى،أي بين الهامش وثقافة المركز في كثير من الكتابات العربية والغربية بوجه أخص،وهي الصورة الحضارية لصدامية التي سوقت إلينا ثم اعدنا إنتاجها وتسويقها من جديد في بعض الكتابات العربية وبالنتيجة وجدنا أنفسنا أما الصورة الحضارية المسوقة نفسها،صورة الآخر الغرب الصاعد دوما،أمام صورة الأنا الشرق الهابط دوما

"لهذا يحتاج تلقي الصورة اليوم إلى مؤهلات ثقافية تغذى الحوار والنقد،ومجتمع يؤمن بالاختلاف ويحترم المعارضة،كي يستطيع فضح التزوير الذي ينال العقيدة والتاريخ على يد أبناء الأأمة قبل أعدائها.

إن الفنون السردية وخاصة من أكثر الفنون قدرة على تقديم صورة الآخر/إذ نستطيع أن يعايش بفضلها مشاهد حية من الواقع المتنزج بالأوهام حول الأنا والآخر".

فبالعودة إلى كتابات الرحالة الأوروبيين من أشكال شاتوبريان في رحلته من باريس إلى القدس في بداية القرن التاسع عشر،نجده يتعاطف مع الأوروبيين المسيحيين،حينما يعلن

[1] ماجدة حمود"صورة الآخر في التراث العربي"ص29.

أن الحروب الصليبية ليست عدوانا على العرب والمسلمين ،وهذه النظرة لا تختلف في الجوهر عن نظرة لامارتين أو الرحالة الأروبيين بشكل عام في نظرتهم الدونية الهامشية للشرقي،التي حاولت أن تعزل صورة الشرقي أو المشرقي باعتباره النقيض للآخر الغرب،ولذلك تحدث هؤلاء الرحالة عن الشرق العربي الإسلامي كشكل جميل كمعمار ،كمنتوج حيوي وكماركة سياحية تغري بالسياحة والاستثمار فقط.[1]

وسقط الشرق كثقافة وحضارة عريقة ممتدة زمنيا في معظم كتاباتهم ،باعتباره مسقط المتاع وعلى هامش الشعور،وهي النزهة التي قللت من مساحة التفاعل بين الأنا والآخر،وصعدت من مركزية الحوار الأحادي وقطبيته،وغذت هذه الروح النقدية ثقافة المركز وثقافة الهامش عند الغرب،وعند بعض المستشرقين من أمثال أرسنت رينان و جاك بيرك الذين امتزجت عندهم النزعة الإيديولوجية بالرؤية المعرفية في دراسة التطور الحضاري والإسلامي ،وهي الأطروحة التي تدعم مقولة غربية الحضارة الإنسانية ،على الرغم من وجود بعض الفروق المنهجية بينهما في التحليل الوصف،إلا أنهما لا ستلقيان استراتيجيا لأن الحوار التقني مع تاريخ الحضارة عند جاك بيرك لا يختلف عن الحوار التقليدي عند رينان[2]

ثم انتقلت هذه الصورة إلى الشرق عن طريق إعادة تسويقها من جديد بحسن نية في بعض كتاباتنا الإبداعية والثقافية ووقع الحوار بين الأنا والآخر في خطأ الصدام الحضاري،وهو كمين ثقافي روجته بعض الكتابات الغربية لإضفاء الشرعية على المركزية الثقافية الغربية وتكريسها في الواقع الحضاري،في مقابل الصورة الهامشية للآخر الشرق.[3]

"ولو عدنا أيضا إلى بعض الكتابات الغربية التي تحدثت عن الجزائر لوجدنا الصورة نفسها تتكرر،الجزائر كدال وكشكل وكمنتوج وكمورد سياحي،صالح للاستهلاك لكن الجزائري كمدلول غير صالح للاستهلاك،أي إن الجزائري يمثل الآخر المرفوض،وأن

[1] عزيز العكايشي"الحوار مع الآخر"بين ثقافة في عصر الهامش والمركز العولمة،جامعة منتوري،قسم اللغة العربية وآدابها ،قسنطينة ،الجزائر،ص175

[2] ماجدة جمود"صورة الآخر في التراث العربي"ص56.

[3] ينظر المرجع السابق،ص56

الجزائر هي الآخر المقبول باعتباره الفضاء الجغرافي الساحر والجذاب الذي يشبه أوروبا والساحل الممتد على مسافة 1200كلم ،وهي الصورة الحاضرة بقوة في معظم الكتابات الفرنسية خاصة،ولكن خلف هذه الواجهة الفنية التشكيلية الجميلة،تثبت صورة الغرب الذي يتمايز ويتناقض ويقف على طرفي نقيض من الصورة الاولى،الجزائر،القصبة المدينة القديمة الجزائر ثورة الأمير عبد القادر ثورة الشيخ بوعمامة والمقراني إذا الغرب يقبل الجزائر ويرفض الجزائري العربي المزواج والمقاوم لأنه يجسد الآخر المختلف معالغرب،ولذلك فإن العالبة السوداء موجودة بين الغرب والجزائري،وليست بين الغرب والجزائر،وهو مؤضر دال على برمجة القطيعة بينهما وفي الوقت نفسه برمجة الشراكة الجغرافية بينهما،كذلك بما ينسجم حضاريا مع ثقافة المركز وثقافة الهامش دائما ،لأن الجزائري ليس امتدادا للأروبي باعتباره موجودا.[1]

في الهامش:في حين تعد الجزائر امتدادا جغرافيا استراتيجيا أوروبيا ملحقا بالمركز الأوروبي.

وإذا كان هذا هو التوجه المغربي العام في تشكيل صورة الشرق،فإن نظرة الرحالة العرب قديما من أمثال:"ابن جبير"و"ابن بطوطة"فقد تمركزت في وصف الغرب جغرافيا ثم ظل هذا التوجه في معرفة الآخر ولذة الاكتشاف متواصلا في أدب الرحلات ليتطور إلى صراع حضاري لاحقا في رحلات القرن التاسع عشر ،بعد أأن أصبح الغرب مركزا حضاريا مهيمنا.[2]

أما إذا عدنا إلى نهجنا الثقافي الإسلامي،وإلى صور التفكير القرآني الكريم،فإننا نجد أن أطروحة التكامل والتفاعل والتعايش مع الآخر،هي التي تطبع التوجه الثقافي الإسلامي بين الأنا والآخر، بين المادي والروحي،لأن الإعتراف بالآخر ليس إشكالا اقتضته تحديات المرحلة الراهنة،وإنما هو جزء من عقيدة المسلم،وأساي من أسس دينه التي علمته أن الإنسانية واحدة لا تتجزأ ،وأن الله أراد للناس أن يكونوا قبائل وشعوبا متنوعة ليتعارفوا

[1] عزيز العكايشي"الحوار مع الآخر"ص145
[2] ينظر المرجع نفسه، الصفحة نفسها

،وليحققوا التفاعل المتحضر والعيش الآمن،داخل مساحات شاسعة وبيئات مختلفة تضم أسرة إنسانية واحدة،وهو ما يتجلى في موقف الأأمير عبد القادر حين بين انفتاحه على الآخر وتعامله الإنساني معه معتمدا على المرجعية نفسها ،فيبدو الامير معلما للآخر في مجال القيم الإنسانية يوضح له المعنى الحقيقي للحب والعدالة والتسامح ،حتى بقي هذا الآخر مندهشا من سماحة الأمير الذي لا شيء كان يجعله يختلف عن كبار الناس الطيبين الذين قضوا العمر في عزلة الرهبان بحثا عن طريق يقربهم إلى الله

ومن هنا يمكن القول بأن الامة الإسلامية من حيث هي أمة الوسطية لا تنفي عطاء وإنتاج الحضارات،وعلاقتها مع الحضارات ليست علاقة صرع لنفي الآخر،بل لإستعابه في إطار مبدأ التعارف والتكامل في أفق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ،وبوصفها قيما إلهية توجه البشرية إلى المثل الأعلى الحقيقي.

[1]وهذه العلاقة التفاعلية بين الأنا والآخر فهي علاقة ودية بهذا احتلت الصداقة بين الأمير والأخر مساحة كبيرة في سيرورة الدراسات ،ومن ثم فإن العلاقة مع الآخر لا يمكن أن تؤدي دورها المنشود،إلا إذا تأسست على قاعدة احترام متبادل بين الأطراف المتحاورة،واحترام كل جانب لوجهة نظر الجانب الأخر،وإن لم يقبل به،لأن الهدف ليس هو السعي وراء الإتفاق الكلي،وإنما هو ربط العلاقات مع الآخر لإثراء الفكر،وتمهيد طرق التعاون المستمر في شتى مجالات[2]الحياة،وترسيخ قيم التسامح واحترام إنسانية الإنسان بالبحث الجاد عن القواسم المشركة ،التي تشكل الركيزة الأساس للتعاون الفعال بين الشعوب والأمم.

3-حالات فهم الآخر وقراءته:

قبل أن نتحدث عن الآخر لا بد أن نشير إلى أن الصورة الأنا تستند إلى تجارب عاشها الآخرون من الأأدباء والأجانب في شعب آخر ،كالتي نشاهدها في الصورة التي

[1]واسيني الأعرج"كتاب الأميرمسالك أبواب الحديد،منشورات الفضاء الحر،الجزائر العاصمة،ط1، نوفمبر،2004،ص43.

[2]ماجدة حمود"صورة الأمير عبد القادر في رواية واسيني الأعرج ،د.ط،ص54

يرسمها الأروبيون عن البلدان الشرقية عموما والإسلامية منها خاصة،وهذه الصورة في عمومها لا تخرج عن دائرة العداء التي تغذت به المخيلة الأوروبية والذي ساهم في تأصيل رؤية غربية عدائية للإسلام والمسلمين.

ولا تزال هذه الرؤية قائمة إلى الوقت الحاضر بالرغم مما اتسمت به العلاقة بين الشرق والغرب من إيجابية ،ذلك أن الغربيين أنفسهم اقتبسوا من الحضارة العربية الإسلامية فتعلموا منها وأفادوا مما كان يساعدهم في بناء حضارتهم التي ابتدأت نهضتها منذ اربعة قرون،فإخذوا مثلا بالأرقام العربية واستفادتهم من كتب الطب العربي وخصوصا كتب ابن الرشد وابن سينا [1]

وكل هذه المبادلات العلمية غابت عن الذاكرة ولم تبق إلا صورا سلبية ونظرات قدحية للعربي والمسلم ،في حين أنه إبان هذا الاحتكاك لم يكن الموت أو التدمير هو الذي ميز الصراع بين ضفتي المتوسط بل كان العالم الغربي الذي أعطى وهجا حضاريا للثقافة العربية الإسلامية في ذلك الوقت ومصدرا أساسيا للنخب الأوروبية منه استمدوا مقومات سلطتهم العلمية اللاحقة[2].وما هذا إلا محاولة فهم لطمس الجوانب المشرقة في التراث الإسلامي،أما حول الآخر فمن ينفي الآخر ينفي ذاته،لأن الآخر مكمل للذات ،ومن يختزل الآخر يختزل ذاته،وذلك أن اذات المتعددة تقتضي وجود آخر متعدد.[3]

إن صورة الأنا تستند إلى تجارب وخبرات غنية عاشها الأديب في المجتمع الذي يصوره عن كثب،إذ ولد ونشأ في ذلك المجتمع وهو يعرف العديد من أبنائه وتربطه ببعضهم علاقات قرابة وصداقة وغيرها من العلاقات الاجتماعية والنفسية،وهكذا فإن المعرفة العميقة والشاملة بالمجتمع الذي يصوره الأديب تجعل الصورة التي يرسمها في أدبه غنية ودقيقة وتفصيلية ،وذلك خلافا لصورة يقدمها أديب لشعب أجنبي لا يعرفه حق المعرفة،لذا فقد تعددت حالات الفهم والقراءة في صورة الأخر ،وذلك حسب تأويل

[1] عبد المالك مرتاض"الإسلام والقضايا المعاصرة"دار الهومة ،الجزائر،د.ط،2003،ص96.
[2] نور الدين أقاية"المتخيل والتواصل،المنتخب العربي،لبنان،د.ط،ص100.
[3] خليل يروينى"هادي نظري منظم،كاوه خضري"صورة مايا كوفسمي في شعر عبد الوهاب البياتي " إمضاءات نقدية،العدد الثامن،كانون الأول،2012،ص61.

الصورة،إذ من المعروف أن هذا التأويل يتأثر بالسياق التاريخي،كما يتأثر بالسياق الثقافي ،ولا يستطيع أن نغفل أثر التجربة الشخصية والرحلات في رسم الصورة،لعلم من أهم الحالات التي يمكننا تلمسها ما يلي:[1]

أ-التشويه السلبي:

حيث يسيطر على الأنا المبدعة أو الدراسة مشاعر التفوق على الآخر وغالبا ما تعززها العلاقات العدائية مع النخر عبر التاريخ،مما يؤدي إلى تشكيل صورة سلبية عن الآخر –المعادي-نظرا للمشاعر العدائية وسوء الفهم ،لذلك لن يسمح بسماع صوت هذا الآخر،ولن يتاح له حرية التعبير عن ذاته ،وإذا سمح له بشكل مشوه،كي يبرز الأديب الواقع الثقافي الأجنبي في مرتبة أدنى من ثقافته المحلية،وبذلك تعد الصورة السلبية وليدة علاقات متوترة ،وتضع أأخر ضمن إطار واحد مشوه فمثلا بدت لنا صورة الأأوروبي في كثير من نصوص الأدب العربي مشوهة،في مثل هذه الحالة تكون وظيفة صورة الآخر إثارة مشاعر العداء اتجاه آآخر ومشاعر الولاء والتضامن والتوحد اتجاه الذات أو الأنا أو النحن ،وبذلك تتحول الصورة إلى وسيلة من وسائل التعبئة النفسية ضد الآخر العدو،وعلى هذا الصعيد قدم الأدب الصهيوني الحديث مثالا صارخا على إعلاء شأن الذات ونفي الآخر أو تشويه.[2]

ب-*التشويه الإيجابي* :

تسيطر على الأنا المبدعة أو الدراسة مشاعر الدونية ،فتتم من خلالها رؤية الواقع الثقافي الأجنبي في حالة من التفوق المطلق على الثقافة الوطنية الأصلية،لذلك نجدها على نقيض الحالة الأولى تضع نفسها في مركبة أدنى،وبذلك يترافق التفضيل الإيجابي للأجنبي مع عقد تعاني منها الذات اتجاه ثقافة الآخر،واسلوب حياته فنجد أنفسنا أمام كاتب أو جماعة من الكتاب يعانون من حالة تصل حد الهوس بالآخر،فيسيطر وهم الانهيار على الوجدان ،مما يؤدي إلى رسم صورة الأخر الأجنبي على حساب الصورة الحقيقية له،لهذا يمكننا أن ندعوا هذا التشويه بالتشويه الإيجابي ،فمثلا نجد بعض الكتاب العرب منبهرين بالنموذج

[1] ماجدة جمود"صورة الآخر في التراث العربي"ص28.
[2] المرجع نفسه،ص29.

الغربي للحياة إلى درجة نجد بعضهم لم يكتف أن يكون من دعاة الحضارة الغربية ،بل وجدناه يغض الطرف عن مشكلاتها فلا يتبنى أي موقف نقدي اتجاهها رغم ما عاناه العرب من نكبات بسبب النزعة العدوانية التي سيطرت ومازالت تسيطر على كثير من السياسيين الغربيين.[1]

ج-التسامح:

حيث تسيطر على الأنا المبدعة أو الدراسة الرؤية المتوازنة للذات والأخر،فترسم صورة الآخر بروح موضوعية ،يسودها التسامح ،لذلك لن تنحرف أو تبالغ في تعاملها مع الذات أو الآخر،فيتم تقديم الصورة عبر رؤية واعية تعتمد العلم،وتصغي لنبض الإنسان،وبذلك تستطيع أن تنظر للآخر باعتباره ندا للذات ‘فينتفي الهوس والانبهار كما ينتفي الرهاب .

إن تقديم الآخر ودراسته عبر رؤية متسامحة ليس بالأمر السهل،إذ تحتاج الأنا المبدعة والدراسة إلى تكوين جديد على المستوى المعرفي والإنساني،وأعتقد أن تجارب المعايشة اليومية تستطيع أن تعزز التواصل الإنساني بين الذات والآخر ،تقضي على كثير من الأوهام ،وتعزز مشاعر الندية ،فتسهم في تأسيس علاقات إنسانية معافاة ،تؤدي إلى الإعتراف بالآخر،بصفته شريكا في هذه الحياة.[2]

إن هذه العلاقة الندية تغني تجربة الحياة وتزيدها حيوية ،كما توسيع آفاق الإنسان المعرفية والإنسانية،فيزداد إدراكا العلاقات الإنسانية المبنية على المحبة والتفاهم.

فالعلاقة بين الأنا والآخر ينبغي أن تنطلق من مفهوم العدل وتستهدفه في آن واحد،فمقتضيات العدل هي التي تدفعنا إلى صياغة علاقة إيجابية وحسنة وحضارية مع الآخرين ،كما أن هذه العلاقة تتحرك في مفرداتها وآفاقها باتجاه تجسيد قيم العدل في الواقع الإجتماعي والإنساني،بالإضافة إلى تجسيد قيم التسامح،بحث يمكن بالتسامح تهيئة أجواء

[1] ينظر المرجع السابق،ص78
[2] ينظر امرجع نفسه،ص79.

التعاون،وحسن التفاهم والتحليل المتزن،بعيدا عن المشاحنات السلبية التي تثير الفوضى واللا مبالاة والإضطراب النفسي،مما يعيق الوصول إلى قناعات فكرية مشتركة،ولا شك أن ثقافة التسامح تحتاج إلى نصح فكري ومعرفي يقوم على التأمل والتمثل لثقافة الآخر،لا استيرادها وتقليده ،وبالتالي يحتاج إلى حوار دائم بين الذات والآخر بعيدا عن العقد النفسية.[1]

إذا مع إزدياد سوء التفاهم بيننا وبين الآخر وإمتلاء قلوب الكثيرين بمشاعر الضغينة ضد الآخر المختلف،بتنا نحسن بأننا بأمس الحاجة اليوم إلى دراسة صورة الآخر ،فهي تغني شخصية الإنسان،فيزداد فهما لذاته وللآخر،خاصة حين تعمد إلى توسيع أفق الكتابة والتفكير والحلم،مما يجعل منظومة المفاهيم التي يتبناها الإنسان أقل صلابة،فتبدو أكثر مرونة وحيوية،تستطيع أن تسهم في نضج الشخصية الفردية على المستوى الإنساني والمعرفي فيتم التعرف على الذات بقدر معرفة الآخر ،هذا على المستوى الفردي ،أما على المستوى الجماعي فتفيد في تصريف الإنفعالات المكبوتة اتجاه الآخر ،وفهم وتحليل أوهام المجتمع الكامنة في أعماقه،فتعري الذات والآخر معا،وبذلك تبين الصورة المغلوطة المكونة عن الشعوب ،وتسهم في إزالة سوء التفاهم الذي ينزع إلى إعلاء شأن الأنا وتحقير الآخر حقه،وترفعه إلى مستوى يقترب من تعاملها مع ذاتها.[2]

[1] ينظر المرجع السابق،ص83.
[2] ينظر المرجع نفسه،ص84.

الفصل الثاني:
"صورة الآخر في رواية انا وحاييم"

يعد جنس الرواية من أهم الأجناس الأدبية التي لقيت اهتماما كبيرا وواسعا في مجال الأدب العربي،خاصة من الجانب النقدي الأدبي حيث كان لها أثر كبير في الفكر العلاء والدارسين ما دفع بهم إلى البحث والاستكشاف والغوص في غمار البحث عن أأهم ما تحمله من تأثيرات نفسية وفكرية على القارئ.

الرواية الجزائرية في السبعينات:

تعد مرحلة السبعينات المرحلة الفعلية لظهور الرواية الناضجة في الجزائر،وذلك من خلال أعمال "عبد الحميد بن هدوقة"في "ريح الجنوب"و"مالا تذروه الرياح"لمحمد عرعار"و"الاز"و"الزلزال"للطاهر وطار،فظهور هذه الأعمال أصبح بإمكاننا الحديث عن تجربة روائية جديدة إذ أن العقد الذي تلي الاستقلال مكن الجزائريين من الانفتاح على لغة روائية جزائرية جديدة ،وجعلهم يلجؤون إلى الكتابة الوائية للتعبير عن تضاريس الواقع بكل تفاصيله وتعقيداته ،سواء كان ذلك بالرجوع إلى فترة الثورة المسلحة أو بالغوص في الحياة المعيشية الجديدة لتي تجلت ملامحها من خلال التغيرات الجدية ،التي طرأت على الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية ".[1]

إن من سمات الرواية في هذه الفترة الشجاعة في الطرح والمغامرة الفنية وقد طبعت النصوص الروائية خلال هذه الفترة بالطابع السياسي وهذا الطابع لا يمنع الطرح الجذري الذي اتسمت بها النصوص الروائية والقائم على محاكمة التاريخ أو الواقع الراهن بلغة فنية جديدة.[2]

لقد جعلهم الامر يمزجون من الإبداع والسياسة للحدث والمساهمة فيه ،فالروائيون الاوائل كانوا من جيل الثورة والاستقلال ولذلك قد تمتعوا بحصانة وتجربة في رصيدهم كما يقول ابو القاسم سعد:" رصيد الثورة ونضج سياسي وتجربة نضالية".[3]

ولقد جاء هذا الطابع كحتمية لتركيبة ثقافية للرواد الاوائل الذين كان لهم السبق في تأسيس الرواية الجزائرية الحديثة ،كل هذا تأتى من خلال انخراطهم في السلك السياسي

---

[1] أمنة بلعلي"المتخيل في الرواية من المتماثل إلى المختلف"دار الامل للطباعة والنشر،تيزي وزو،الجزائر،ط2،د.ت،ص55.

[2] ادريس بودبية"الرؤية والبنية في رواية الطاهر وطار"ص30.

[3] أحمد فريحات"أصوات ثقافية في المغرب العربي"دار العالمية للطباعة والنشر،لبنان،1984،ص87.

ومعايشتهم فقد كان ابن هدوقة ممثلا لحزب أنصار الديمقراطية وحركة الطلاب الجزائريين بتونس أثناء دراسته ،كذلك كان منخرطا في حزب جبهة التحرير ،تستغل في الإذاعة بعد الاستقلال فكان الطاهر وطار عضو في جبهة التحرير إبان تأسيسها ،كما أنه استغل بالسياسة والصحافة التونسية،وبعد الاستقلال تفرغ للعمل السياسي بجبهة التحرير كمراقب للجهاز المركزي للحزب".[1]

1-عن رواية أنا وحاييم:

إن موضوع الآخر في الرواية العربية عموما والجزائرية على وجه الخصوص،ليس مجرد موضوع روائي،بل هو إشكالية حضارية وجد فيها الروائيون مادة غنية للطرح،حيث اختلف تجاربهم الروائية حسب موقفهم من موضوع الآخر،وحسب زاوية النظر،فالرؤية التي تنطلق من الوعي الحضاري،هي رؤية تقوم على محاطة الفهم وزيادة وتيرة الأسئلة،وهي الرؤية الأكثر حضورا في الرواية الجزائرية،ومن ذلك صورة الآخ في رواية-أنا وحاييم- التي تبدو من أكثر الصور وضوحا والأوسع مجالا،بل تكاد تكون الفكرة الأساسية التي تدور حولها الرواية هي التركيز على صوت واحد هم الآخر المسامح.

يبدو أن الروائي الحبيب السايح في هذه الرواية يريد أن يثبت لنا أنه ليس بالضرورة أن يكون المقاوم والمدافع عن الجزائر جزائري الأصل،بل يمكن أن يكون من جنسية مختلفة وينبذ الظلم والاستبداد ،ويتمتع بالأخلاق الراقية ومن بين هؤلاء المدافعين عن هذه القضية نجد:

2-تجليات صورة الأنا والآخر في الرواية:

نلاحظ في الرواية ومن خلال الشخصيات كيف أن الأنا لا ينظر للآخر عدوا أو خصما،ولا يحمل له أي حقد أو ضغينة،وجل ما يريده هو الإستقرار والعيش في أمن وأمان،واحترام هويته وعاداته وتقاليده،وهو ما تجلى في شخصية "حاييم"المتسامحة المتعالية عن الأحقاد،وتؤمن بفكرة التسامح.

أ-صورة حاييم بن ميمون:

[1] بوجمة بوشوشة"التجريب والحداثة السردية في الرواية العربية الجزائرية"ط1،2005،ص9

فهو يمثل صورة الموان الذي تشبع بالوطنية رغم كونه صاحب أصول معادية،إلا أنه لا ينكر جميل الوطن الذي ولد فيه ،وبطبيعة الحال حمله الكتاب صورة عكسية لما كان عليه اليهود من بغضهم للبلاد التي لا ينتمون إليها فهو هنا يمثل شخصية الآخر الذائبة في حب الوطن الذي نشأ فيه.وهو صورة اليهودي المعتدل الذي يمتلك إنسانية لا تجعل من العقيدة عائقا لحب الغير ،بل تتماهى معه لتشكل طيفا ووحدة روحية من أجل الوحدة الوطنية.

وهو أيضا يمثل نموذج الآخر اليهودي الوفي،كان صديقا لأرسلان المسلم وزميله في الدراسة من المرحلة الإبتدائية إلى المرحلة الجامعية،حيث يكن له كل المشاعر الصادقة من حب ووفاء وإخلاص،وأيضا مخلص لمجتمعه على الرغم من أنه عاش فقيرا كما جموع المسلمين،وعلى الرغم أيضا ممن أن قانون كريميو كان يعطيه حق المواطنة الفرنسية كاملة.[1]

وكان مدافع عن القضية الجزائرية ويكره السلطات الإستعمارية الفرسية كرها شديدا ،لأنها ظالمة ومستندة للشعب الجزائري.كان يتأثر عندما يشاهد المستوطنين يظلمون الأهلي ويحتقرونهم ونلتمس هذا في قول أرسلان:"***استعاد لي حاييم ،بتأثر مشهد المنظف الذي نزل من فوق سلمه القصير،لصرخه صاحب المغاوة،فحمله أفقيا على كتفيه بيد وبيد دلو الذي رمي فيه الاسفنجة وانصرف [2]،صامتا منكسرا وقالك لذلك لم أعتبر نفسي يوما فرنسيا معاملة صاحب امغازة الأوروبي للأهالي بتلك الطريقة السيئة أزعجت وأغضبت حاييم،لذلك لم يعتبر نفسه فرنسي لأنه ينبذ الظلم ويملك أخلاق راقية على عكس الأوروبيين***".

فتح حاييم صيدلية عند حصوله على شهادة الصيدلة ،وانخرط في المقاومة بطريقة مختلفة وناضل في السر وأصبح سندا حقيقيا للثورة،وذلك من خلال توفيره الدواء للجرحى من المجاهدين،حتى يستطيعوا مواصلة الحرب والصمود في وجه الإستعمار الغاشم.[3]

[1] الحبيب السايح"وأنا وحاييم"ص76

[2] الحبيب السايح"أنا وحاييم"ص184.

[3] المصدر السابق،ص188

وقام حاييم يتقديم مفتاح الصيدلية لصديقة "***أرسلان الذي التحق بصفوف جيش التحرير الوطني للدخول ليلا إلى الصيدلية ليأخذ الدواء،وذلك خفية من السلطات الاستعمارية ويتبين ذلك من قول أرسلان***:"دخلت عليه فيها من بابها الخلفي نفسه بالمفتاح الذي كان سلمني إياه قبل ثلاث سنين ،للمفاجأة نهض من كرسيه فوقف في استقامة تمثال،وقد غمرت وجهه حمرة عرفتها له منذ أعوام المدرسة تظهر عليه لانفعال إيجابي.

انبهر حاييم بصديقه عندما تسلل إلى الصيدلية لأخذ الأدوية للجنود بالرغم من أنها قريبة من السلطات الإستعمارية وبعذا أدرك وعرف بان صديقه أرسلان شجاع.

التقى الصديقين في الصيدلية،وقام حاييم بتشجيع أرسلان على النضال والصعود وعد الإستلام من أجل تحرير الجزائر لأنه متعلق بها،ويعتبر نفسه جزء منه،وكان يتألم بسبب ما يحدثه الاستعمار من جهة ويتألم من عدم انضمامه إلى صفوف جيش التحرير الوطني من جهة أخرى،وذلك يتبين من خلال قوله لصديقه أرسلان:تعرف يا أرسلان كل يوم ازداد شعورا بأن مكاني يجب أن يكون إلى جانبك،أحمل السلاح مثلك من أجل شعب يستحق الحياة.حاييم كان يرغب أن يكون إلى جانب صديقه في الجبل ولعدم قدرته على فعل ذلك كان يتألم ويحترق بشدة فهم يحب الجزائر كثيرا ويعتبرها بلده .

وهذا واضح في قوله:[1]"***قلت إلى أين تريدونني أن أغادر؟هذا وطني هنا ولدت وولد أبائي ،وأخلاط جسدي من تربة هذه الأرض ،وفيها أدفن مثل آبائي ،فلسطين ليست أرضي ولا وطني***" ومن هنا نفهم أن حاييم محب ومتعلق بوطنه الجزائر ولا يريد الرحيل منها وهذا ما يسمى بالنزعة الوطنية.

أرسلان عندما كان يقصد صيدلية حاييم للطلب منه الأدوية للمصابين ،كان يقول له أن يأخذ كل ما يريد وما يستطيع أن يحمله بدون طلب،وهذا ما يوضحه أرسلان :"***أريد فقط بعض الأدوية،رددت باستعجال.فنهض وأشار إلى بأن أتبعه ،وفي داخل الصيدلية دار نصف دورة،هذه الرفوف بكل ما فيها تحت تصرفك***"فحاييم قام بإعطاء الحرية لصديقه أرسلان في أخذ كل الأدوية التي يحتاجها بدون استئذان.[2]

[1]المصدر نفسه،ص213.
[2]الحبيب السايح"أنا وحاييم"ص188و189.

أثناء حرق صيدلية حاييم من قبل المنظمة السرية الفرنسية تعرض لصدمة قوية،زذل كلما اكتشفوا مساعدته للمجاهدين بتقديم الأأدوية لهم من صيدليته أرادوا الانتقام منه ليقطع الأدوية على المجاهدين .وهذ ما يتضح في قوله:"لا أستطيع أن أزيح عن ذهني صورة الخراب،كل شيء الوقوف بما فيها والمخير وبقية الأثاث كل شيء وقعت عليه كان متفتحما كان يوما أسودا في حياتي كالحا أحرقوا صيدليتي فحاييم عاشا يوما مرعبا جراء هذا الفعل الشنيع من قبل الاستعمار.

قامت المنظمة السرية الفرنسية باحراق صيدلية حاييم،إلا أنه ظل صامدا ولم يستسلم،وواصل الدفاع عن الجزائر ،فعندما أعلنوا الإستفتاء حول تقرير مصيرها،كان حاييم من بين المصوتين بنعم لاستقلال الجزائر.وهذا ما نجده مبرزا:"وقد انتخب ورقة نعم في مكتب مدرسة جول فيري نفسها"من هنا نفهم أن رغم ما فعلته فرنسا بحاييم إلا أنه ظل صامدا في الدفاع عن الجزائر وبقي متحديا فرنسا[1].أفصح حاييم عن فرحته باستقلال الجزائر [2]في اليوم المصادف ل 5جويلية 1962 وذلك كان بإخراج سيارته وإعطائها لصديقه وزوجته زليخة سي النظري وأصرت عليه هذه الأخيرة في أن يذهب معهم وهو من كان يقود السيارة للتعبير عن فرحته الشديدة باستقلال الجزائر،وكانوا ينتقلون من شارع إلى آخر وهذا ما تجلى في :"قال حاييم إنه يضع سيارته تحت تصرفنا ،وتهلل وجهه لدعوة زليخة إياه أن يرافقها،كانت الساعة التاسعة صباحا لما ظهرت للحشود المختلفة.

ومن بداية شارع إيزلي ،سيارة مدينة من نوع ستراون مكشوفة،مطوية السقف ،مزينة الجوانب برايات النجمة والهلال،في خلفها زليخة واقفة بالزي العسكري تكرر ندائها،عبر ميكافون تحمله بيدها ،أن افسحوا الطريق ...حاييم هو الذي كان يقود"فهكذا كانت فرحة حاييم باستقلال الجزائر[3].

مرض حاييم بسرطان الدم ،ولم يخبر صديقه أرسلان بذلك لكي لا يحزن وذلك دليل على حبه له.بالرغم من أنه لم يبق الكثير من حياته إلا أنه متمسك بوطنه ،وفي لحظاته الأخيرة كتب وصية لصديقه تثبت الحب الذي يحمله للجزائر،ومفاد هذه الوصية كما يلي:

[1]المصدر نفسه،ص188.
[2]نفسه،ص213.
[3]الحبيب السايح"أنا وحاييم"ص217

أولا أن يضع تحت تصرفه مسكني في الدرب.ثانيا أن يحول محتويات الصيدلية إلى الهلال الأحمر،ثالثا،أن يبيع القاعدة التجارية ويقتطع من مبلغها دينه علي ويرسل الباقي بحولة بريدية باسمي إلى بيعة الجزائر باسم الحاخام أبراهام إسحاق انتهى فحاييم يحب الجزائر وناضل من أجلها وساندها غلى آخر نفس في حياته. فإن رواية أنا وحاييم ،ليست الرواية الوحيدة التي تحدثت عن اليهودي المسالم والمساند لآخر.

بل هناك روايات كثيرة أقرت بهذا من بينها نجد رواية رجال في الشمس لغسان كنفاني ففي هذه الرواية صور لنا الروائي شخصية اليهودي المنفتح والمساند للآخر،حيث ناخذ منها نموذج عن الزوج الأجنبي المهاجر إلى دولة إسرائيل الذي لم يتوان عن إغاثة أسعد الشاب الفلسطيني ،حينما كان في أمس المساعدة.على الرغم أنه يجهل هويته،عندما اصطدم سيارته واوقف الزوج الأجنبي سيارتته دون تردد مراعيا حالة أسعد الصحية،فقد كان على وشك الموت من العطش والإجهاد من طول المسير-وأقله رفقة زوجته سيارتهما" بوسعك أن تأخذ مكاني بعد أن نستريح قليلا،قد أساعدك على عبور مركز الحدود العراقي،سنصل إلى هناك بعد منتصف الليل وسيكون المسؤولون نياما"لقد كان يعرف أنه هارب من الدولة الإسرائيلية ولا يحمل جواز السفر أو سمة مرور ولا حتى وثيقة هوية ورغم هذا حمله معه وساعده ولم يبلغ القوات الاسرائيلية ،بل تستر واوصله في طريقه إلى حيث كان يشاء.[1]

2.ب*صورة اليهودي العنصري:

توجه الروائي إلى قضية مهمة في الرواية وهي العنصرية التي طغت على عقلية اليهودي،حيث يعتبر اليهود غير اليهود أعداء لهم وأنه شعب عنصري مؤمن بتفوق عنصره على البشر كافة،والناس عندهم لا قيمة لهم،ويعتبرون أنفسهم شعب الله المختار.هذه هي نظرة اليهود لغيرهم وهذه حقيقة ما يبيتونه تجاه كل من هو غير يهودي.

[1]الحبيب السايح"أنا وحاييم"ص328

الشخصية هذا العالم الذي تدور حوله كل الوظائف السردية وهي كل فعل أو حدث يتعرض لافراز الشر أو الخير،وهي كذلك أداة وصف للسرد والعرض وهي تشكل ثلاث مستويات المتحدث عنه،المتحدث،المتحدث له.[1]

و الشخصية القصصية هي أحد أفراد الخياليين أو الواقعيين الذين تدور حولهم أحداث القصة ولا يجوز الفصل بينها وبين الحدث،لأن الشخصية هي التي تقوم بهذه الأحداث وقد أكد كثيرون على وجود الصلة يقو ل رشاد رشدي:"***من الخطأ أو الفصل بين الشخصية وبين الحدث،لأن الحدث هو الشخصية فهي تعمل أو هو الفاعل أو هو يفعل*** "[2] وما من حدث إلا وراءه شخصية تحركه ،وقد يطلق على هذه العلاقة "الحبكة الفنية"أي ارتباط الأحداث بالشخصيات ارتباطا منطقيا يجعل من مجموعها وحدة ذات دلالة محددة.[3]

وغالبا ما تختار الشخصية واحدة أو اثنين،ويعني القاص بتصوير أجوائها الداخلية بل غالبا ما تكون الشخصية هي ذات الأديب التي يتحدث عنها بضمير الغائب أو المخاطب"[4]

"فالشخصية يرسمها القاص لا من خلال عيني الكاتب نفسه بل يجعلها القاص شخصيات أقرب إلى واقع الحياة دون أن يخبو على الفصحى"[5]

لذلك نجد في غالب الأحيان القاص ينتقي شخصية محورية تتجه نحوها أنظار بقية الشخصيات وهي تقود مجرى القصة ،وقد ألف النقاد أن يطلقوا عليها مصطلح "البطل"ويسند إليه الدور الرئيسي في عمله القصصي ويرى أحمد منور في شخصية البطل هي:" التي تستحوذ على اهتمام القاص وتمثل المكانة الرئيسية في القصة وقد تكون سلبية أو ايجابية أو متذبذبة بين هذه القصة وتلك،قد تكون محبوبة أو منبوذة من طرف القارئ،المهم أنها تمثل المحور الرئيسي في القصة والقطب الذي يجب إليه كل العناصر الأخرى ويؤثر فيها".[6]

---

[1]ينظر عبد المالك مرتاض"القصة الجزارية المعاصرة"دار الغرب للنشر والتوزيع،2004،ص1190

[2]شربيط أحمد شربيط"تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة"د.ط،ص32.

[3]أحمد طالب"الالتزام في القصة الجزائرية المعاصرة"ديوان المطبوعات الجامعية،1989،ص175.

[4]ينظر المرجع نفسه،ص176

[5]عماد حاتم"النقد الأدبي قضاياه..."دار الشرق العربي،بيروت،ص82.

[6]شريبط أحمد شريبط"تطور البنية الفنية"ص32.

و يحبذ في الشخصية القصصية أن تكون معبرة عن صورة من صور الحياة البشرية وأن تبتعد قدر المستطاع عن النماذج الأسطورية وفي هذا الشأن يقول الطاهر وطار:"أبطالي الرئيسيون اختارهم من الحياةنمن معارفي أو أصدقائي أمن حققت في شأنهم في إطار عملي،كمراقب وطني للحزب-...-وأحيانا أقوم بتركيب عدة شخوص في شخص واحد".[1]

تعد الشخصية لبنة من اللبنات المحورية في البناء السردي الروائي حيث لا يمكن تصور أي عمل أدبي سردي بدون شخصيات حيث يقول ايف رويتر :"كل قصة هي قصة شخصيات".[2]

فالشخصية هي المكون التي تنظم من خلاله معظم عناصر الرواية إن لم نقل كلها بمثابة العمود الفقري والمحرك الأساسي للأحداث الروائية وتساهم بشكل من الأشكال في تطوير وتناهي أحداث الرواية وهذا ما يجعل منها عنصرا غير تابع للأحداث وإنما هي مكون من المكونات الأساسية للحدث.

وظف الروائي الحبيب السايح الآخر اليهودي العنصري والمتمثل في شخصية كولدا التي تكشف الصورة العدائية التي تكنها للأنا السلم ولعل قولها يوضح نظرتها ،إذ تقول:"مواطنة مثل الأنديجان؟يا للمأساة تعني ذمية من جديد تعني أن أصبح من نساءهم اللائي يعشش في رؤوسهم الجهل والتخلف والحمق؟لا ياسيد حاييم كن أنت وحدك المواطن الجديد في هذا البلد الملعون".من هنا نفهم أن كولدا عنصرية إلى أقصى درجة،حيث تحتقر الجزائريين وتستصغرهم .[3]

وتضيف أيضا في قولها كيف ليهودي مثلك أن يرهن شرفه ودينه وحياته لهؤلاء الحثالات وقد تعدى بها الأمر إلى أن وصفت الجزائريين بوصفات رديئة ومشمئزة.

اليهودي ينظر إلى المسلم بنظة منفتحة تعايش معهووقف بجانبه في الدفاع عن وطنه،وهذا ما برزته الرواية من خلال شخصية حاييم الذي يعتبر السلم بمثابة أخ وصديق له،على

---

[1] ينظر المرجع نفسه'ص33.

[2] المرجع نفسه،ص56.

[3] مازية حاج علي"الهوية وسرد الآخر في روايات غسان كنفاني"رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه،جامعة محمد خير،بسكرة،الجزائر،2016-2017،ص92.

الرغم من أنهما ينتميان إلى ديانتين مختلفتين.وهناك نظرة عنصرية للآخر اليهودي تجاه المسلم إلى أنها لم تبزر كثيرا في الرواية.

2.ج*<u>صورة المسيحي الإنساني والمتسامح:</u>

أراد الروائي من خلال هذه الرواية أن يقدم لنا الصورة الإيجابية اتي يحملها الآخر المسيحي تجاه الأنا الجزائرية المتمثلة في التعطف والتسامح ودعم الجزائريين ومساندتهم والدفاع عن حقوقهم التي سلبتها فرنسا منهم ومن بين هذه الصور التي مثلت هذا الآخر الإنساني والمتسامح نجد:[1]

<u>أ-صورة السيد خايمي سانشيز:</u>

تمثل شخصية السيد خايمي سانشيز صورة المعلم الفرنسي المتسامح والمتعاطف مع الأهالي،ويعمل كمعلم في مدرسة جول فيري فهو عادل لا يفرق بين تلاميذه من الأهالي أو الأروبيين والأقدام السوداء واليهود ونجد ذلك في الرواية حين طلب من التلاميذ نقل ما كتبه في السبورة :"المعلم في المدرسة لا يفرق بين تلاميذه ولا يحابي بعضهم على بعض على أساس الدين والعرق" فإن السيد خايمي سانشير معلما عادلا بين تلاميذه لا يفرق بينهم بالرغم من كونه من بيئة مختلفة وعقيدة مختلفة عن عقيدة تلاميذه من الأهالي واليهود.[2]

وقع خلاف بين الصديقين حاييم بن ميمون اليهودي وأرسلان حنيفي المسلم مع زميلهم ماكس باتيست الفرنسي المسيحي وذلك عندما ضحكوا واستهزأوا منه مرة في ساحة المدرسة لأنه بلل سرواله لما أخرجه المعلم إلى السبورة لحل عملية قسمة عشرية،فشكى لأبيه ألفونسو باتيست أن المعلم مسيو سانشيز غالبا ماتظاهر بأنه لا يرى شيئا ولا يسمع وقال أبو ماكس يومها:"أعرف يا بني لأن السيد سانشيز متعاطف مع الأنديجان من اليهود والمسلمين"ويتضح من هذا القول ان المعلم مسيو سانشيز متعاطف مع المسلمين والأهالي.

ونجد أيضا في هذا القول نظرة ألفونسو باتيست إلى اليهود والمسلمين نظرة محملة بالعنصرية وذلك لاستخدامه كلمة "انديجان".ذهب باتيست إلى مدير المدرسة ليشتكي

[1] الحبيب السايح"أنا وحاييم"ص258
[2] الحبيب السايح"أنا وحاييم"ص17

على التلميذين المذنبين حاييم ابن اليهودي وأرسلان ابن القايد وأيضا المعلم مسيو سانشير وقام المدير باستدعاء هذا المعلم وأنكر كل ذلك ويتبين ذلك في الرواية :

"يوم زار السيد ألفونسو باتيست مدير المدرسة وطلب منه توضيحا استدعى المعلم مسيو سانشيز وسئل عن الأمر فنفى بجزم يؤكد هذا القول تعاطف المعلم مسيو سانشيز وتسامحه لتلميذين اليهودي حاييم وأرسلان المسلم والدفاع عنهما لكونها تلميذين مجتهدين جد"[1].

صورة موريس بيريه:تمثل شخصية مسيو موريس صورة الأوروبي المنفتح للأنا المسلمة الجزائرية والآخر اليهودي ،اشتغل ممرا في عيادة الطبيب ستيفانيني،وهو الذي عالج جرح زليخة إثر إصابتها في الحرب.[1]

يتميز مسيو موريس بيريه بالطيبة والمحبة والحنان تجاه الأهالي الجزائريين برغم أنه فرنسي لكنه يحب الأهالي ويساندهم ويعاملهم معاملة حسنة وأيضا يدافع عنهم ونجد ذلك في الرواية"موريس بالرغم من كونه من إحدى عائلات الأقدام السوداء عاش قريبا جدا من الأهالي،مثله مثل والده الذي كان يدافع أيضا عن المعال ،خلافا لما يفعله الأروبيون والأقدام السوداء،ليتمتعوا بالحقوق نفسها"نستنتج من هذا الوقل أن مسيو موريس بالرغم من كونه من عائلات الأقدام السوداء لكن هذا لم يجعله أن يكون عنصريا ومتعاليا تجاه الأهالي مثل غيره من الأروبيين العنصرينين الذي ينظرون إلى الأهالي نظرة احتقار ويلبونهم بالأنديجان،فمسيو موريس ووالده نجد عندهم نظرة مختلفة فهم يدافعون عن الأهالي المطلومين من قبل السلطات الفرنسية ويطالبون بأن يتمتع العمال بالحقوق التي يتمتع بها الفرنسيون.

ما يمكن قوله هو أنه إذا كانت هناك أصوات تحمل نظرة العداء والحقد والكره،لكل شخص ينتمي إلى ثقافة مختلفة عنهم،فبالمقابل هناك في الرواية أصوات أخرى أكثر إسماعا تغطي عليها،تنادي بالتسامح والحوار بين الانا والآخر.

ب-صورة الطبيب ستيفانيني:

[1] ينظر المصدر نفسه،ص18

يعتبر الطيب الأوروبي المثال والمدافع عن حقوق الإنسان والمساند للقضايا العادلة،ومنها القضية الجزائرية ،بحيث يتميز بالطيبة والاستقامة ،ويقف ضد الظلم ويدافع عن المظلومين من جزائريين وأيضا يسع جاهدا إلى المساعدة الثورة الجزائرية .

[1]ألقت السلطات الفرنسية القبض على هذا الطبيب ستيفانيني عندما أدركت بأنه يقدم المساعدة للأهالي وحكمت عليه بالسجن وهذا ما نجده موضحا في الرواية:"ذلك الذي ألقى عليه القبض خلال الحرب وحكم عليه بالسجن عشرين سنة نافذة بتهمة تقديم العون لجماعة إهابية في المدينة ومساعدة الفلاكة"يتضح من هنا أن الطبيب ستيفانيني دفع ثمن طيبته وذلك بسجنه من طرف السلطات الإستعارية حيث اعتبرته خائن لها.

صورة الأخر المسيحي الحقود:

ج.صورة مسوويل لومباردو:[2]

تمثل شخصية مسيوويل في الرواية نموذج الأروبيين و الأقدام السوداء العنصريين تجاه الأهالي الجزائريين فهم يعمل كحارس في ثانوية مدينة معسكر ،فعندما انتقل أرسلان إلى الثانوية فقد تعرض لمراقبة شديدة من قبل مسيوويل وذلك في قول أرسلان :"وما انقضت فترة التكيف تلك حتى وجدتني أشعر أتعرض أكثر من غيري من التلاميذ لمراقبة الحارس مسيو ويل لومباردو الدائمة"ومن هنا نفهم أن أرسلان كان يعاني من طرف الحارس مسيو ويل لمراقبة شديدة فُذا قام بخطأ يعرضه لعقاب.ويقول أيضا : فمسيو ويل لم يكن في تعامله معي على الأقل،شخصا عاديا حتى أقول غير سوي ذلك ما كنت اكتشفه في تلك السنة ،مثل حارس سجن يستعرض هيبته على محبوس جديد"يتضح من هذا القول أن مسيو ويل كان يعامل أرسلان بطريقة سيئة وغير سوية لكونه أحد من الأهالي ويعتبره مجرد أنديجان.وكلمة أنديجان هو وصف وضيع أطلقه المحتلون افرنسيون على سكان الجزائر الأصليين .

فكان أرسلان يحس كأنه محبوس ،بما أن أرسلان يتمتع بحقوق وواجبات مثل غيره من الأروبيين والأقدام السوداء فهذا لم يعجب مسيوويل .كون أرسلان أحد من الأهالي

[1]الحبيب السايح"أنا وحاييم"ص265

[2]ينظر المصدر نفسه،ص264

يدرس في ثانوية فرنسية داخلية فهذا ما جعل مسيو ويل ينظر إليه بنظرة احتقار وعنصرية شديدة .يقول أرسلان:"إذ أن يلفت أنظار بقية التلاميذ إلى أن زميلهم لاراب ليس دخيلا عليهم فحسب،ولكن لأنه أيضا ماكان له أن يكون بينهم في هذه الثانوية"أكد مسيو ويل نظرته العنصرية والمتعالية تجاه الأهالي الجزائريين،فقد أراد أن ينقص من قيمة أرسلان حنيفي أمام زملائه الأوروبيين والأقدام السوداء ،حيث لا يراه مجرد دخيل فحسب وإنما لا يستحق أن يدرس معهم في تلك الثانوية.[1]

حذر مسيو ويل لامباردو "حاييم بن ميمون"اليهودي صديق أرسلان حنيفي المقرب من تكلم اللغة العربية في أي مكان في الثانوية لأنهم كانوا يتكلمونها على انفراد في الساحة أو المرقد ،وطلب منه ألا يجيبه عن أي سؤال سلقيه عليه الا بالفرنسية ففعل ذلك حاييم محولا لسانه فرنسيا بلا لكنة فاستغرب مسيو ويل وقال له:"ولكن قل لي،ما طبيعة هذه العلاقة التي تربطك بمسلم غير فرنسينأنت حاييم بن ميمون مواطن فرنسي أعلى من أرسلان حنيفي درجة فكيف تقبل مصاحبة أنديجان مثله والحديث إليه بتلك اللهجة كأنه أحد أفراد عائلتك"[2]

نستنتج من هنا موقف الآخر العنصري الأروبي الذي يتمثل في شخصية مسيوويل المعروف باستحقاره وكرهه الشديد الذي يكنه للأنا المسلمة الجزائرية ويتمثل في شخصية أرسلان حنيفي فمسيو ويل قال لحاييم اليهودي أنه مواطن فرنسي أعلى درجة من أرسلان حنيفي فكيف يصاحبه ويتكلم معه باللهجة الجزائرية ويعني ذلك أن مسيو ويل كلما أتيحت له الفرصة يحاول من انقص قيمة أرسلان والاستهزاء من لهجته وأن الأروبيين والأقدام السوداء واليهود الذي يحملون الجنسية الفرنسية لهم مكانة وقيمة وقوة عظيمة فكيف لهم أن يصاحبوا عربي مثل أرسلان حنيفي فهو مجرد أنديجان.

يقول "إدوارد سعيد"في كتابه الاستشراق حسب رأي بلفور وكرومرأن"فالشرقي غير عقلاني،وفاسد ومختلف ومن ثم فإن الأروبي عقلاني وناضج وسوي ،ولكن وسيلة إحياء العلاقة لم تكن تتغير فكانت دائما ما تؤكد أن الشرقي يعيش في عالم خاص به"

[1] الحبيب السايح"أنا وحاييم"ص22
[2] المصدر نفسه،ص27

نستنتج من هنا نظرة الآخر الأوروبي إلى الأنا العربية نظرة متعالية ،حيث يرى أن العالم الشرقي متخلف وغير عقلاني أما العالم الأأوروربي فهم عالم متقدم وعقلاني.

د-صورة فليب هنري:يمثل نموذج الأستاذ الجامعي الأوروبي العنصري والظالم،وهو متشدد بفكرة الجزائر فرنسية ولا يمكن أن تكون غير ذلك مهما حصال،وكان أستاذ المنطق ولفلسفة الإريقية كان نزيها ولا يحمل كرها للأهالي الجزائريين المسلمين قبل اندلاع الثورة،حيث كان يعامل الطلاب بنفس الطريقة سواء أكانوا من االوروبيين والأقدام السوداء أو من الأهالي فلا يفرق بينهم ،لكن عندما قاموا الأأهالي بتفجير الثورة أصبح شخص آخر حقودا جدا على الذات الجزائرية.[1]

تغيرت معاملى هذا الأستاذ مع بطل الرواية أرسلان لأنه ينحدر من الأأهالي ،وأصبح متشددا معه أثناء مناقشته له،وأحيانا يقوم بتغليطه بالرغم من أن إجابته صحيحة وأحيانا أخرى يتجاهله.وهذا ما نجده موضحا في قول أرسلان:"***فإن ما سبب لي إحساسا بالإقصاء المؤلم كما كاشفت حاييم،وهو تشدد فليب هنري لا في التقويمات فحسب ولكن أيضا في المناقشة فإن هو رد على أسئلتي أو تعليقاتي سفه رأيي حينا وحينا تجاهلني***"وهذا الأستاذ عامل أرسلان بهذه المعاملة السيئة ليخفف من شدة غضبه وكرهه الشديد للأهالي الذين قاموا بتفجير الثورة وأرسلان واحد م أبناء هؤلاء.[2]

وما زاد من حسرة هذا الأستاذ أن الجامعة الفرنسية هيأت طلاب الأهالي لمحاربتها و الدفاع عن بلدها هذا ما نجده في قول أرسلان:"***فرمى لي أنه يعرف أن الجامعة أعدتني لأقاومها كما يفعل الخارجون عن القانون***"فهذا الأستاذ كان على دراية بأن أرسلان سيلتحق بالجبل إلى جانب إخوانه المجاهدين ليحارب فرنسا ويدافع عن بلده،وهذا ماجعله يكره أرسلان ويعامله بتلك المعاملة المشينة والرديئة .

[1] ينظر المصدر السابق،ص29
[2] المرجع نفسه،ص34

أراد الروائي من خلال هذه الرواية أن يقدم لنا الصورة الإيجابية التي يحملها الآخر المسيحي تجاه الأنا الجزائرية المتمثلة في التعاطف والتسامح ودعم الجزائريين ومساندتهم والدفاع عن حقوقهم التي سلبته فرنسا منهم وقد مثلنا بعض الصور .

نستنتج من هنا أن نظرة المسيحي غلى الأنا المسلم تختلف ،حيث تتأرجح بين شخصيات عنصرية حقودة وذلك من خلال نظرتها الدونية للأنا المسلم ولاستخدامها الأساليب لتضعيفها وتحقيرها.وشخصيات إنسانية متسامحة التي دعمت الجزائريين وساندتهم في الدفاع عن حقوقهم وترى بأن للشعب الجزائري الحق في تقرير مصيره.

كم أن نظرة الآخر المسيحي إلى الآخر اليهودي فهي نظرة مغايرة وذلك أن اليهود أعطت لهم فرنسا حق الجنسية الفرنسية ليكونوا إلى جانبها في استعمار الجزائر.لكن حاييم رغم أنه يهودي متجنس إلا أنه عان من التمييز لأنه لم يغير إسمه باسم أوروبي وكذلك لدفاعه عن القضية الجزائرية.

3جدلية العلاقة بين الأنا والآخر:

3.أتجليات صورة الأنا:

أ.1 صورة الأنا المنفتح على الأخر اليهودي:

تتجلى صورة الأنا الجزائرية المنفتحة على الآخر اليهودي في بعض الشخصيات ونذكر منها أهم شخصية وهو بطل الرواية أرسلان حنيفي المسلم وحاييم بن ميمون اليهودي ،فبالرغم من اختلاف الدين والعرق إلا أن صداقتهم الجميلة والرائعة منذ طفولتهم تجاوزت عهد الأصدقاء الطفولة[1]،ويتضح ذلك في قوله:"كنت لي الصديق والأخ و الرفيق "من هنا نفهم أن أرسلان يعتبر حاييم صديقا وأخا ورفيق دربه،ويقول أيضا أرسلان:"***حاييم برغم ما يظهر عليه من تحفظ ،لدى من لم يعرفه عن قرب كما عرفته،اختزن مثل كنز روحا ظريفة ومليحة"وصف أرسلان صديقه حاييم بن ميمون بالكنز وذلك لامتلاكه روحا جميلة ورائعة***.

[1]ينظر المرجع السابق،الصفحة نفسها.

دافع أرسلان[1] عن حاييم عندما هاجموا على بابه مجموعة من المتجمهرين الهائجين،حيث يقول :"*رأيت سدا من المتجمهرين الهائجين ضرب حول باب دار حاييم،فسحبت من خلف ظهري مسدسا...ثم أطلقت عيارا على الهواءفانشقت لي الطريق"*

يتضمن هذا موقف الأنا الجزائرية المنفتحة تجاه الآخر اليهودي من خلال الدفاع عنه،ويقول أيضا:"***السيد حاييم بن ميمون هو الذي جء هؤلاء الأشقياء ليعتدوا عليه ويسطو على بيته أصبح جزائريا مثلكم،مثلي،مثل هذه المرأة أمامكم"فإن أرسلان وقف ضد شعبه من أجل صديقه اليهودي حاييم بن ميمون وقال بأنه أصبح جزائريا مثلهم،ولا يستطيع أي أحد من المتجمهرين أن يدافع عن الوطن ويخاطر بحياته ورزقه مثلما خاطر حاييم من أجل الحرية وذلك من خلال:" هل فيكم واحد مثل السيد حاييم خاطر بحياته ورزقه من أجل أن يصبح الحلم بالحرية حقيقة كما ترونها اليوم***؟"إذن فقط أسكت أرسلان هذه المجموعة من الهائجين الذين اعتدوا على بيت يهودي حاييم،أي أأن رغم أنه يهودي الأصل فلا أحد يشك في وطنيته وحبه وفائه لها.

أعطى الكاتب صورة إيجابية عن الشخصية اليهودية "حاييم"اليهودي المتسامي الذي يقف إلى جانب الآخر،ذا قلب واسع مستعدا للمساعدة وكريما،ويفكر بنبل وهو حكيم ومتسامح.

تظهر علاقة أرسلان حنيفي المسلم المنفتح على الآخر اليهودي حاييم بن ميمون علاقة مودة وحب وحنان،فالروائي الحبي السائح يريد أن يقدم لنا فكرة مهمة من هذه العلاقة التكاملية وهي طريقة التعايش السلمي والحضاري رغم الاختلاف الديني والعقائدي والفكري فإي علاقة كانت في العالم لا بد ان تبنى على ذلك.

بالاضافة إلى شخصية زليخة بنت سي النضري التي ستصبح بع الاستقلال زوجة أرسلان حنيفي،وهي الأخرى دافعت عن اليهودي ووقفت في وجه المتجمهرين الذين أرادوا أن يعاقبوا اليهود وإخراجهم من الجزائر،حيق قالت:"أنا التي سأضع بهذا حد لمن يعتدي

[1] عبد المالك مرتاض"تجريب في نمنمة اللغة و عجائبية الحدث"دار القدس العربي،،وهران،ط1،2018،ص3

على غيره"نفهم من هنا أن زليخة الشجاعة والقوية تهدد المتجمهرين أنها ستضع حدا لمن يعتدي على غيره .

استطاعت زليخة أسكات جميع المتجمهرين وذلك في قول أرسلان:"وبظهور زليخة مشهرة مسدسها هي أخرى تراجع الهياج حتى استحال همهمات من بوحة فصمتا مطبقا"أي إن زليخة دافعت عن صديقها اليهودي المظلوم حاييم،ووقفت ضد كل من يريد أيذائه.

إن اليهود تجانسوا مع العديد من الأجناس ومن بين هذه الاجناس العرب وهذا ما يبينه القول التالي:"***اليهود الذين سكنوا في بلاد لم يلبثوا أن تخلقوا بأخلاق العرب وتمسكوا بعاداتهم وابعوا سبيلهم في النظم والتقاليد الإجتماعية حتى أصبحوا كأن لم يونوا من جنس آخر غير الجنس العربي***"*فاختلاطه و بالعرب مكنهم من اكتساب العديد من أخلاقهم ،وتعدى ذلك إلى اتباع عاداتهم وتقاليدهم لدرجة أنهم أصبحوا من جنس واحد.*[1]

بالإضافة إل أن اليهود في تفاخرهم وتشاجرهم على ما كان العرب تماما في جميع ذلك،وكذلك كانوا أمثلهم في التمدح بالشجاعة وعلو الهمة وإكرام الضيف والنفور من الجبن والبخل وكانوا يوقدون النيران في الليل ليرشدوا السائرين زليدعوا إلى الضيافة والإكرام"

نستنتج أن الروائي قد صور لنا صورة الآخر المسيحي المستعمر المستبد والمتسلط في هذه الرواية على الذات الجزائرية أثناء الفترة الإستعمارية،حيث جسد فيها معاناة الجزائريين من تمييز عنصري وظلم واستبداد وقد ذكرنا كل هؤلاء سابقا.

أ.2صورة الأنا العنصري على الآخر اليهودي:

وظف الروائي الحبيب السايح في روايته "أنا وحاييم"صورة الأانا العنصرية لأخر اليهودي والتي تمثلت في مجموعة من المتجمهرين الذين ثاروا على حاييم وأرادوا طرده من الجزائر بعد الاستقلال لأنه يهودي متجنس وهذا بارز في:"هذا اليهودي كان مثله مثل الأقدام السوداء يحمل الجنسية الفرنسية،لماذا لا يرحل مثلهم"فإن أراء المتجمهرين

[1] أحمد البيوري"في الرواية العربية التكون والاشتغال"شركة النشر والتوزيع المدارس،دار البيضاء،ط1،2000،ص103

تحمل تعصبا وبغضا تجاه الآخر اليهودي وإذ بمجرد انتهاء الحرب التحريرية انقلبوا ضده وأرادوا إخراجه من الجزائر .[1]

***-صورة أرسلان حنفي**: يعتبر أهم شخصية فهو بطل الرواية،يتميز بالشجاعة والقوة ورغم التمييز العنصري الذي عانه من قبل الأوروبيين والأقدام السوداء،إلا أنه نجح في دراسته والتحق بصفوف جيش التحرير الوطني،حيث يقول[2]:"إن كنت التحقت بالجبل اختيارا لا إكراها"أي أن أرسلان التحق بالجبل بقناعة لكنه عاش في تلك الفترة كل أنواع العذاب وذلك في قوله :"مس شخصي المرض ،كالصداع والأنفلونزا والإسهال ومغص الأمعاء ونوبات المعدة،وشظت الحياة وقلة النوم والإرهاق خلال السير والخوف أثناء الإشباكات التي أصبت في ثلاثة منها إصابات خفيفة في الرأس بفعل شظية وفي الذراع والساق بالرصاص"إذن فأرسلان رغم المعاناة التي عاشها في الجبل من ألم وخوف وإرهاق وقلة نوم وإصابته في المعركة إلا أنه لم يستسلم وبقي يكافح من أجل تحرير الوطن من الاستعمار الفرنسي.

-صورة زليخة بنت سي النضري**: تمثل المراة القوية والشجاعة ،حيث التحقت بصفوف جيش التحرير الوطني إلى جانب المجاهدين وذلك في قول أرسلان'فأنا نفسي لرؤيتي زليخة في زي الجنديات الذي لبسته غداة التحاقها بعد تنفيذها عملية ضد المفتش آلان بورسيه وعلى وجهها برغم التعب صرامة المحاربة***"أي رغم المعاناة والتعب الذي عانته إلا أنها بقيت صامدة فلم تقتصر في رفع السلاح ونصب الكمائن فقط إنما تقوم بتعليم الجنود المناضلين في الجبال.[3]

***-صورة حسيبة وصال:** تمثل الصورة المناضلة القوية المتماسكة بهويتها والمدافعة عن القضية الجزائرية ،وهي طالبة جامعية مثقفة وأيضا جميلة وحنونة وطيبة،ذات هيئة جذابة متأثرة بالثقافة الأروبية في لباسها.وهي من المسلمين العشر الذي نتحصلوا على شهادة البكولوريا مقابل مئة من الأوربيين ،وفي مسارها الدراسي عانت من التمييز العنصري في المرحلة الابتدائية إلى المرحلة الجامعية من قبل لمستوطنين،وهي من

[1] سهيل إدريس"الحي الاتيني"بيروت،ط7،1977،ص26.
[2] الحبيب السايح"أنا وحاييم"ص175
[3] الحبيب السايح"أنا وحاييم"ص177

الطلبة المشاركين في التخطيط للعمل المسلح ،وتقوم بحملات تأسيسية مع صديقها الصادق هجاس لتوعية اللبة بضرورة النضال من أجل الحرية وأن ما يأخذ بالقوة لا يسترجع إلا بالقوة وهذا ما نجده في قوله:"***لوعن الما يجب ،إزالة الظلم التاريخ،يتطلب ثورة مسلحة***".[1]

ومن هنا نفهم أن حسيبة قامت بالدفاع عن القضية الجزائرية بالقلم والسلاح،وكما أيدت تفجير الثورة وحملت السلاح واتجهت إلى الجبل لتحرير ونها ،معتبرة أن هذا الأمر حقا وواجبا.

وأثناء خوضها لإحدى المعارك ضد الاستعمار الغاشم سقطت شهيدة،وهذا ما نجده موضحا في:"وجه حسيبة وصال الجميل مضرجا بالدم كانت تبدو مغلقة العينين مفتوحة الشفتين،كما في حال استرخاء من تعب،بين عمر بلا ذراع وجمال ممزق الصدر"فحسيبة ناضلت من أجل استقلال وطنها الغالي حتى سقطت شهيدة.

اعطت المرأة الجزائرية من خلال مشاركتها في الثورة التحريرية دافعا قويا أثبتت أن الثورة لا يمكن أن تقف على رجل واحد،بل على كل أبنائها التضامن من أجل إنجاحها وأن المرأة تدرجت في المهام ،حيث كانت تأوي المجاهدين في بيتها،وتقوم بتوفير الطعام والشراب لهم وتسهر على راحتهم دون ان تخاف من العواقب.

[2]فالمرأة الجزائرية على اختلاف مستوياتها الفكرية وطبقاتها الاجتماعية سواء كانت في المدينة أو في الريف استطاعت أن تثور على مجتمعها المنغلق على العادات والتقاليد البالية،التي كبلتها الضغوط الاجتماعية القاسية قبل أن تثو ر على المستعمر الفرنسي وتساهم في ثورة التحرير مساهمة فعالة مدركة بذلك مسؤوليتها اتجاه دينها وحبها لوطنها"

إذن فالمرأة الجزائرية رغم اختلاف المستوى الفكري والاجتماعي ،إلا أنها استطاعت أن تثور على مجتمعها المنغلق،وايضا برزت مكانتها من خلال مساهمتها في الثورة التحريرية.[3]

[1]المصدر نفسه،ص177
[2]الحبيب السائح"أنا وحاييم"ص87
[3]المصدر نفسه،ص186

***-صورة منور حنيفي**: هو ذلك النموذج القائد الخائن للسلطات الفرنسية ويتظاهر بوفائه لهم،ورث السلطة من عائلته ومن الاستعمار نفسه الذي حوله إلى قائد قبيلة،لكنه ظل يشتغل بسرية مع الثوار وجبهة التحرير الوطني.

طلبت السلطات الفرنسية من منور حنيفي بالرحيل لكنه أصر أن يبقى في منطقته لمراقبة جميع الأهالي الذي نيصعدون إلى الجبل ويتضح ذلك في قول أرسلان :"***لن يسكت عن أحد في محيط منطقته صعد إلى الجبل ليحمل السلاح ،وكان من حين إلى آخر يرسل ليلا معونات إلى أكثر من عائلة في الريف يعرف أن رجالها التحقوا بجيش التحرير***"نفهم من هنا أن منور حنيفي يتظاهر لفرنسا بانه وفيا لها ولكن في الحقيقة يبين عكس ذلك لأنه كان يساعد العائلات التي يعرف أن رجالها صعدوا إلى الجبل بإرسال المعونات لها.

وقام ضابط الفرقة الإدارية المتخصصة بمساعدة القايد حنيفي لإبقائه في منطقته ولكن عوض ذلك وضع مركز مراقبة بالقرب من مزرعته ويتبين ذلك من خلال قول ارسلان:"أقام مركز مراقبة بالقرب من مزرعتنا،في الطريق المؤدية غى المدينة،لرصد كل تحرك حولها"فإن ضابط الفرقة الإدارية المتخصصة رغم أن القائد حنيفي صديقه لكن لم يثق به.[1]

عندما التحق أرسلان بالجبل ذهب والده إلى "العقيد بيجار:"لكي يخبره أن إبنه التحق بصفوف المجاهدين من أجل أن تثق به السلطات الفرنسية فقال له:"***ابن واحد لم تتحكم فيه شكرا للرب على أنه لم يرزقك غيره ورد عليه حنيفي ببداهة وذكاء*** :"***سيدي مدرستكم ثم جامعتكم هي التي دورت رأسه قهرنا أنا وأمه بفلسفته ،وحتى أعبر لكم من عدم رضاي عما كما انتهى إليه تفكيره كنت أخبرتكم بأنه التحق بالمغامرين"أجاب القايد"حنيفي"بطريقة ذكية أي أن الذنب يرجع إلى مدرستهم وجامعتهم التي تربى فيها على أيدي المعلمين والأساتذة الأاوروبيين وأنه غير راضي بتفكير ابنه وأبلغ فور التحاقه بالجبل ولكن رغم ذلك لم يثق به العقيد ولم يقم بأي إجراء لمعاقبته لأنه غير متأكد بأنه خائن.***

[1]صفاء عبد الفتاح محمد لمهداوي"الأنا في الشعر محمود درويش-دراسة سوسيو ثقافية في دواوينه من 1995-2008-عالم الكتب الحديث،إربد الأردن،ط1،2013،ص30.

ذهب القايد حنيفي إلى الحج ولكن شاء القدر أن لا يرجع من حجته من مكة ويتضح في قول أرسلان:"***ولكني لم أتوقع أن مصير والدي يشاء له الا يعود من حجته إلى مكة،في نهاية ربيع ذلك العام،حتى يقتل على يد هه الجهة أو تلك***"إذن القايد المنور حنيفي قتل قبل رجوعه من مكة.[1]

إن الرواية تحفل بصورة الأنا والآخر،فكيف صورت لنا هذه العلاقة؟هل هي علاقة ود وحوار؟أم هي علاقة بغض وصراع؟هذا ما سنعرفه من خلال تقصي صورة هذه العلاقة في الرواية.

نظرة الآخر المسيحي إلى الأنا المسلم تختلف،حيث تتأرجح بين شخصيات عنصرية حقودة وذلك من خلال نظرتها الدونية للأنا المسلم ولاستخدامها الأساليب لتضعيفها وتحقيرها.وشخصيات إنسانية متسامحة التي دعمت الجزائريين وساندتهم في الدفاع عن حقوقهم وترى بأن للشعب الجزائري الحق في تقرير مصيره.

أما نظرة الأخر المسيحي غلى الآخر اليهودي فهي نظرة مغايرة وذلك أن اليهود أعطت لهم فرنسا حق الجنسية الفرنسية ليكونوا إلى جانبها في استعمار الجزائر.لكن "حاييم"رغم أنه يهودي متجنس إلا أنه عان من التمييز لأنه لم يغير اسمه باسم أروبي وكذلك لدفاعه عن القضية الجزائرية.[2]

عرضت الرواية العديد وصور الحياة في المجتمع الجزائري التي لم تغير الحرب منها شيئا،فعائلة أرسلان مثلها كأي عائلة جزائرية كانت متمسكة بعاداتها وقيمها،فمن خلالها تحس بطعم الهوية الوطنية ما***"أضفى على الحكي نكهة قريبة من الحميمية،من خلال تلك الأوصاف الدقيقة والسرود المناسبة***"فتحدث لنا عن الأطباق التقليدية واللباس الجزائري الأصيل والاحتفال بالمناسبات الدينية،ورد ذلك في قوله:"***ولكني كنت أيضا أخبرت حاييم عن حفل نهاية موسم الحصاد.وقلت له إني تمنيت لو أنه كان حاضرا معي ليشاهد فانتازيا الخيالة ويأكل مشوينا وسفة الكسكس بالعسل***[3]"

[1]الحبيب السايح"أنا وحاييم"ص22.
[2]ينظر "أنا وحاييم"ص116
[3]شعيب حليفي"ثقتفة النص الروائي"للنشر والتوزيع ،الدار البيضاء،المغرب،ط1،2016ص162

هذه العادات التي كانت تتميز بها الذات الجزائرية جعلتها لا تستلسم لواقعها الذي فرض عليها،وإنما كانت نقطة القوة الدافعة للتمسك بالوطن والهوية،يقول[1]:"***أخرجت مواعين الفخار والملاعق الفضية من خزانة الاواني في المطبخ،وكانت لا تخرجها إلا للخاصة من الضيوف أو في مناسبة مهمة تجتمع العائلة خلالها.وحضرت لي الفطور والغذاء والعشوية والعشاء***....وكان اللباس أيضا دور يقول:"***فلا تتخللهن إلا نادرا امرأة من الأهالي المسلمين ترتدي الملحقة أو الحايك ،لباسها التقليدي في الخروج.أو رجل في لباسه التقليدي،فالذات هنا وصلت إلى ذروة النضج والوعي بالمكان والهوية***،انطلاقا من هذه الأفكار المحورية تستثمر الرواية مثل مقومات الهوية التي تمثل الانا وتدل على التمسك بمكونات الأساسية للثقافة الجزائرية.[2]

***نظرة الآخر للأنا:**

أثار حديث الأخر عن اليهود في الرواية حيزا واسعا من الجدال ،وفجر العديد من الأأسئلة عن الأسباب الحقيقية التي أدت بالحبيب السايح،أن يجعل من الأاخر إنسانا مميزا،شارك في الثورة وو الذي عرف تاريخيا بخيانته وموالاته للاستعمار،لكن المتصفح للراوية يجده يتحدث عن العلاقات الإنسانية التي يسودها التسامح الديني رغم الاختلاف،لأن هذا هو أصل في الحياة أن تبنى العلاقات على التفاهم والتحاور لا على العنف والتمييز الذي دمر حياة البشر:"صورة تصفيه مكبرة في براويز الاولى لموشي والد حاييم بعمامة من الجوخ والثانية لوالدته وزهيرة سماح.

وعائلة حاييم كانت من العائلات اليهودية المحافظة زالمندمجة في الجزائريين إلى حد شعورها بالوطنية،وهذا ما عرض حاييم للتمييز العنصري وتم اعتباره من الأنديجان المتخلفين،[3]لأنه لم يغير اسمه إلى اسم أروبي فدليلهم بالنسبة لحاييم بن حميمون أنه لا يزال يستعمل اسما كان يجب على عائلته ان تغيره باسم أروبي،كما فعلت ذلك عائلات من اليهود المستفدين من قانون التجنيس.وعائلة بن ميمون التي نزحت من الأغواط بعد احتلالها في بداية المنتصف الثاني من القرن الماضي،كما حدثني عنها حاييم ذات مرة،كان لسنا أفرادها

[1]ينظر "أنا وحاييم"للحبيب السايح،ص157
[2]ينظر المرجع السابق،ص163
[3]ينظر أنا وحاييم،ص165

مستقيما وسليما في نطقهم الأصوات العربية،مثلهم مثل بقية اليهود الأهالي في جهات ومدن أخرى فمن خلال هذا المقطع تجسدت في الرواية صورة اليهودي اتي مثلها حاييم وعائلته وأجاب أن عائلته لا تأكل اللحوم ،بأسمائها كما كنت أراها أحيانا في دكاكين الجزارين غير المسلمين واليهود مسلوخة معلقة من قوامها في معاقف أو مقطعة على طاولة العرض،وما أراد لها الكاتب أن تتصف به من الانفتاح والتحاور ،تتكلم اللغة العربية وتشترك مع العرب في بعض العادات والتقاليد الخاصة ،فكانت هذه العائلة اليهودية تشترك مع المسلمين في عادات كثيرة رفضت الاستعمار وجرائمه.[1]

[1] المصدر السابق ،ص145

خاتـــمة

خاتمة:

أشرفنا على نهاية عملنا هذا و يطيب لنا أن نبين خاتمة ما توصلنا إليه في هذه الدراسة. و إن كانت الأعمال بخواتمها ’فما ستقدمه هذه الخاتمة هي خلاصة جهد مثابر و سعي صادق .بمعنى حتى يكون الجهد أكمل و النفع أعم و الرؤية أبعد و أوسع و أعمق وأشمل ’فهذه الأخيرة تمثل جملة من الإستنتاجات و هي على النحو الآتي:

--تتحدث رواية "أنا وحاييم"للروائي الجزائري "الحبيب السايح"حول زمن الاستعمار الفرنسي للجزائر وغداة الاستقلال،حيث بدأت الرواية مع أرسلان حنيفي وصديقه اليهودي حاييم بن ميمون.

-صورة الآخر في رواية أنا وحاييم لحبيب السايح،صورة مركبة ومتطورة،وليست بسيطة،ذلك أن الآخر لا يمثل معطى مسلما،وإنما هو كيان مختلف يصدر قد يكون شخص أو عدة أشخاص،فإن صورة الأنا تنمو وفق تطور صورته،والسبب في ذلك هو طبيعة الصورة في حد ذاتها التي تتصف بالديناميكية والمرونة .

-ثنائية الانا والأخر هي المرتكز الأساسي التي تقوم عليه مختلف أحداث الرواية،لكن نلاحظ أن لرواية قد غلب عليها الميل إلى تصوير بعض الأحداث بشكل مفصل و إغفال أخرى.

-احتل الآخر مكانة بارزة في رواية"أنا وحاييم"حرصا من الأنا على معرفة ذاتها التي لا تمر إلا بمعرفة هذا النخر والكشف عن حدود معرفته هو عنها فالآخر عمق فهمها لنفسها حين أخذت جزءا مهما من فكرته عنها،وسعت من خلاله إلى تطوير نفسها.

-تتصارع الذات الجزائرية مع الآخر الفرنسي من أجل التأكيد على هويتها في ظل التحولات السياسية والاجتماعية والايديولوجية التي فرضها المستعمر.

-الاختلاف في الأديان والعرق ليس سببا لنبذ الآخر،قدمت لنا الرواية رسالة نبيلة عن التعايش السلمي والتسامح الديني.

-استطاع الحبيب السايح أن يصور لنا انفتاح الأنا على الآخر وعدم تعصبها لدينها وعرقها وجنسها،لكن بين في الوقت نفسه في مقاطع روائية معينة.

خاتمة:

-رواية أنا وحاييم هي رواية نضال ومقاومة الأنا للآخر لنيل الحرية والاستقلال التام.

-فقد انشغل الروائي في هذه الرواية انشغالا تاما،بهاجس الهوية وقضايا وطنية عميقة صاغها في عالم روائي كافح برائحة الجزائر زمن الاستعمار الفرنسي وغداة الاستقلال،ناسجا بيد روائي بارع،خيوط حكاية تنقبض لها نفسك،حينا ،وهي تحدثك بتفصيل مذهل عن أجواء الحرب وجرائم المستعمر والميز العنصري.

ملحق

ملخص الرواية:

رواية أنا وحاييم للروائي الجزائري الحبيب السايح الصادرة عن دار مسكيلياني التي كانت ضمن القائمة الطويلة للبوكر 2019،تبدأ من لحظة الوقوف أمام بناية قديمة لأسرة بتيميمون،استرجاع شريط ذكريات الطفولة إلى الوراء،وإعادة التاريخ في صورة سينمائية بديعة،بعدها يفيض السرد من دون انقطاع في لغة شعرية جميلة،كل تلك المحطات التي مر بها أسلان حنيفي برفقة صديقه حاييم بتيميمون من أسرة يهودية انتقلت من ولاية الأغواط إلى ولاية سعيدة ،تتقاطع مسارات حياتهما بدءا من الطفولة مرورا بالمراهقة إلى غاية الحرب وما بعدها ،يستعيد أرسلان ذكرياته مع صديقه حاييم منذ نشأتهما في حي الدرب بمدينة سعيدة 1944ودراستهما الابتدائية في مدرستهما جول فيري إلى متابعة دراستهما الثانوية في معسكر ،ونجاحهما وانتقالهما إلى جامعة الجزائر العاصمة ،أرسلان طالب في الفلسفة وحاييم في الصيدلية،وفي ليلة عيد الأموات الحمراء في 1954يلتحق أرسلان بصفوف ثوار المجاهدين ،وحاييم ينفع ويجمع الاشتراك والأدوية واللوازم الطبية للثوار،وما إن تضع الحرب أوزاها ويتحقق النصر وحلم الاستقلال في 1962.حتى تأي مرحلة الانكسار والفقد في 1965 بمعاناة حاييم الذي ينعت باليهودي ومطالبته بالرحيل كباقي الأقدام السوداء والأوروبيين وظهور مجموعة من الانتهازيين والوصوليين من قادة الحزب ،ومن هنا نجد أن الحبيب السايح خلق عالما روائيا طافحا برائحة الزائر في زمن الاستعمار الفرنسي وغداة الاستقلال عبر مونولوج سردي ذاتي،يروي لنا أرسلان أسفار الحكاية،حكاية الوطن المحتل ومقاومة أبناء هذا الوطن الغاضب الفرنسي ،ملقيا الضوء على حقائق توارث عن عقول العالمية في عصرنا هذا ،فالمحتل الرنسي حين اضطهد وأذل أبناء الوطن المسلوب،لم يفرق بين ذوي الديانات المختلفة ،تماما كما أن المقاومة الشعبية حين انطلقت لتزيل ذلك المحتل،انخرط فيها كل الوطنيين بغض النظر عن ديانتهم ،فأرسلان وحاييم قد تشبتا بهويتهما منذ الصغر ،ولم يحد أي منهما عن طريقه،ولم يتشكك أي منهما في مفاهيم الوطن المترسخة في وجدانهم منذ نعومة أظافرهم.

يرتبط الصديقان وتترعرع نبتة ضداقتهما منذ الطفولة ثم يتوقفان في دراستهما الجامعية،حيث يدرس أرسلان الفلسفة وحاييم الصيدلة،وعبر سرد هادئ محكم،ينقل لنا

الكاتب مسرتهما على خلفية ألا اضطهاد الذي يعانيان منه،كسار أهل الجزائر وقد فرضت على الجميع معاملة من الدرجة الثانية أو أقل ينقل لنا الكاتب تطورات الشخصيتين بقلم يرصد باحترافية تلك المرحلة الثرية من تاريخ الجزائري يتعلم الصديقان بطرائق مختلفة إلى جبهة التحرير الوطنية لينخرطا في حرب التحرير،كتفا بكتف،وقد انصهرت في وجدانهما قضية وطن اتفقا على عشقه،وغامرا بكل شيء بغية تطوره.

تنتصر جبهة التحرير،وتتحرر الجزائر،فتتحرر الحركة إلى حزب سياسي يتولى الأمور ،ليطرح الكاتب صرخته الاستفهامية الأكثر دويا ،ه تحررة الأأوطان برحيل المستعمر ،وعودة الغاصب إلى أراضيه؟ تتبع مصير أرسلان وحاييم،وقد تم تعويض اما لهما في وطن أفضل،فأبعد الأأول عن العمل السياسي إلى دوائر وزارة التربية والتعليم،وانحنى الثاني مؤثر البقاء في دوائر الظل والنسيان يساءل الكاتب الثورة ،ويحاكم قادتها السياسيين،ربابين السفينة التي إلى مسلكها المرجو،وهو أمر ربما أراد الكاتب من لاله استقصاء الأسباب التي أودت بجزائر اليوم إلى هذا المصير ،وقد استمرت السفينة في تخبطها في محاولات الاستشارة بالسلطة وإقصاء المعارضين،والإصرار على إتباع الصوت الواحد،والوضوح لمنطق الحكام الأابويين،ممن يقودون دفأت الوطن ويوجهونها وفق أهوائهم ،رافضين كل محاولات ذلك الوطن الآخر،بالاستماع إلى صوته ،ولو مرة واحدة عبر رسالة التسامح والتعايش السلمي بين أبناء الوطن الواحد من ذوي الديانات المختلفة،التي يثبتها الكاتب في سطوره ،ويؤطر بها حكايته الإنسانية عن الصداقة الفريدة الجامعة بين المسلم واليهودي،يدخل الكاتب عش الدبابير ليتلقى ربما وابل من الاتهامات حول دوافع كتابته،وأهداف ربما أراد بها الدعوة إلى التطبيع والعلمانية ومحاباة المشروع اليهودي،خصوصا في ظل معنى جديد الذي تنتهجه الإدارات العربية مع إسرائيل في الوقت الراهن،إلا أنني أقف مع الكاتب في ذات الخندق،أدافع عنه وعما كتب،فمفهوم الوطنية لابد أن يتسع ليشمل كافة الأأطياف والفضائل،والرواية من وجهة نظري تحمل دعوة لنبذ الفرقة بين أبناء الوطن الواحد ،ودعوة الجميع للاصطياف خلف الحلم المشروع بوطن أفضل،يقبل الجميع ،ويتيح اختلاف العقيدة والفكر والرأي دون تجريم أو إقصاء تبدو فصول الحكاية وكأنها تطوي عشرين عاما فيما هو ظاهر من أحداثها ،بيد أنها في الواقع تمتد من واقعة

المروحة عام1827،مرورا بالاستعمار فحرب التحرير والثورة لتمتد تداعياتها إلى اللحظة الراهنة التي هي نتاج لك ما سبق هي بمثابة وثيقة تاريخية سردية،تؤرخ تاريخ الجزائر الحديث ،جاعلة من مراحل الثورة ركائز سردية مفصلية تتكئ عليها الأحداث والتحولات دون أن تحيد عن خط السرد الأساسي ،المتعلق بصداقة أرسلان وحاييم.

عن حرية عن الصداقة عن التسامح والمساواة في أزمة الاضطهاد والغبن،عن الحب في ذروة آونة الحرب،عن الوطن ومفهوم الوطنية،وعن براعة العرب في الانقضاض على نتائج الثورات،وهوسهم المتوارث بجمع الغنائم ،واتقانهم للخسارة مهما اقتربت منهم لحظات النصر،يقدم لنا الروائي الجزائري الحبيب السايح عبر غلاف مميز وعنوان معبر تماما عن الأحداث رواية أنا وحاييم كعمل أدبي متفرد شديد التميز مختلف عما سبقه من أعمال تصور الرواية ما تعرض له الجزائريون أيام الاحتلال الفرنسي من تمييز عنصري،إذ يطلق الفرنسيون على أبناء البلد كلمة أنديجان وهي صفة محملة بالاستعلاء عليهم،وفي فترات دراستهم يعاني الصديقان هذا التمييز،على الرغم من أن والدي حاييم تجنسا بالجنسية الفرنسية،تبعا لقانون كان يسمح لهم بذلك آنذاك ،وحين يسأل الابن أباه عن سبب رغبته بالجنسية ،يجيبه الأب بأن ذلك رد فعل لما تعرض له أجدادهم أثناء الحكم العثماني ،الذي اعتبر اليهود ذميين وفرض عليهم الحرية غير أن العائلة لم تبذل اسم الابن باسم اروبي كما فعلت عائلات اليهود التي استفادت من قانون التجنيس نفسه،وهذا ما جعله دوما يرى النزعة العنصرية من قبل الفرنسين ومن دخل ارض الجزائر من جنسيات أخرى مثل المالطية والإيطالية والاسبانية أيام الاحتلال كانوا في غالبيتهم خاصة المحظيين منهم بالنظام الخارجي ،ينظرون إلينا أنا وحاييم،نظرة أهل المدينة إلى الريفيين،وكانوا لا سمينا ،قد رتبونابقوة أحكامهم المسبقة،ضمن خانة الأنديجان تلك كانت نظرة الأقدام السوداء والأروبيين جميعا إلى غيرهم من الأهالي في البلد كله،فدليلهم بالنسبة إلى حاييم في تيميمون أنه لا يزال يستعمل اسما كان يجب على عائلته أن تغيره باسم أروبي.

تؤرخ الرواية للمقاومة ضد الاحتلال ولمشاركة اليهود في مواجهة الفرنسيين،فبعد أن يلتحق أرسلان بصفوف الثوار نجد أن حاييم هو الأخر ينخرط في المقاومة لكن بطريقة مختلفة،إذ يوفر الدواء للجرحى من المقاتلين ويضع صيدليته بكل ما فعله لن يشفع له

لاحقا،فبعد حصول الاستقلال ينعت باليهودي ،ويطالب بالرحيل مثل باقي الفرنسيين والأقدام السوداء،لكن الأأخير رغم كل الضغوطات يصر على البقاء في بلده حتى عندما تشترط عليه حبيبته كولدا أن يسافر معها إلى فلسطين كي تقبل بالزواج منه.

يختار الحبيب السائح أن يكتب روايته بما يشبه سردا ذاتيا يكتبه بطله عن نفسه وعن صديقه،وهو يتذكر باسترجاعات طويلة،الماضي مختارا شخصية يهودي جزائري ليشير إلى ان اليهود شكلوا جزءا من مكونات هذا البلد،وكانوا يتكلمون اللغة نفسها ويمارسون الحياة نفسها،دون أن يفق بينهم وبين باقي مكونات البلد شيء،إلى أن حدث أول شرخ حين جاء الاحتلال وأقر قانون التجنيس ثم نا تلى من مضايقات تعرض لها اليهود بعد الاستقلال .

حياة مثيرة عاشها الصديقان إذ لكنها انتهت بوجع الانكسار والفقد يكتب أرسلان لصديقه ذكرياتهما المشتركة كلها وفي ختامها ببوح له:

"إلى أن أرسل أنا مثلك من هذا العالم وأدلى في قبري بوجهي على القبلة فألتقيك أولا ألتقيك.

اطمئن على أنك في ذهني لم تعمر في هذه الدنيا إلا لحظة تشبه تلك،التي استغرقتها سب حتفا بين ضفتي الوادي يوم طاردتنا ألفونسو باتيست.

الحبيب السائح:

روائي جزائري من مواليد 1950/04/24.بمنطقة سيدي عيسى ولاية معسكر،نشأ في مدينة سعيدة ،تخرج من جامعة وهران ليسانس آداب ودراسات ما بعد التخرج،انشغل بالتدريس وساهم في الصحافة الجزائرية والعربية،غادر الجزائر سنة 1944متجها نحو تونس ،حيث أقام بها نصف سنة قبل أن يشد الرحال نحو المغرب الأقصى ثم عاد بعد ذلك إلى الجزائر ليتفرع منذ سنوات للإبداع الأدبي قصة ورواية صدر له عدة أعمال أدبية:

*الأعمال الأدبية المنشورة:

-زمن النمرود الجزائر 1985.

-ذاك الحين الجزائر 1997

-تما سخت :دار القصبة الجزائر 2002.

-تلم المحبة الجزائر 2002.

-مذنبون لون ذمهم في كفي دار المحكمة 2009.

-زهوة دار الحكمة 2011

-الموت في وهران القاهرة مصر 2013.

-كولونيل الزبرير بيروت لبنان 2015.

-أنا وحاييم الجزائر 2018.

*الأعمال القصصية:

-القرار سوريا 1979.

-الصعود نحو الأسفل 1981.

-الموت بالتقسيط 2003.

-البهية تتزين لجلادها 2000.

*بعض الأنشطة:

-مؤسس النادي الأدبي في جريدة الجمهورية.

-مؤسس فرع الرابعة الجزائرية لحقوق الإنسان في سعيدة.

-عضو مؤسس لجمعية الجاحظية.

قائمة المصادر و المراجع

***المصادر والمراجع:**

01- شـــــعيب حليفي"ثقتفـــــة الـــــنص الروائي"للنشـــــر والتوزيـــــع ،الـــــدار البيضاء،المغرب،ط1،2016ص162

02-ابن منظور"لسان العرب"دار صادر،ط1،بيروت،لبنان،1999.

03-أبـــــو هـــــلال العســـــكري "الصـــــناعتين"الكتابة والشـــــعر،دار الكتـــــب العلمية،ط2،بيرو،نلبنان،1984.

04-أحمـد البيـوري"في الروايـة العربيـة التكـون والاشتغال"شـركة النشـر والتوزيـع المدارس،دار البيضاء،ط1،2000،

05-أحمـد طالـب"الالتزام فـي القصـة الجزائريـة المعاصـرة"ديوان المطبوعـات الجامعية،1989

06-أحمـد فريحات"أصـوات ثقافيـة فـي المغـرب العربـي"دار العالميـة للطباعـة والنشـر والتوزيع،لبنان،1984.

07-ادريس بوديبة"الرؤية والبنية في رواية الطاهر وطار"دار النشر والتوزيع.

08-الحبيـــــب الســـــايح "أنـــــا وحاييم"مكتبـــــة نوميـــــديا 175،ط1،دار مـــــيم للنشروالتوزيع،الجزائر،2018.

09-أمنـة بلعلي"المتخيـل فـي الروايـة مـن المتماثـل إلـى المختلـف"دار الأمـل للطباعـة والنشر،تيزي وزو،الجزائر،ط2،د.ت.

10-بوجمة بوشوشة"التجريب والحداثة السردية في الرواية العربية الجزائرية"ط1،2005.

11-جميـل حمداوي"بلاغـة الصـورة السـردية الموسـعة أو المشـروع النقـدي العربـي الجديد"د.ط.

12-خليـل يروينـي"هـادي نظـري منظم"صـورة مايـا كوفسـمي فـي شـعر عبـد الوهـاب البياتي"إمضاءات نقدية،العدد الثامن،كانون الأول،2012.

13-زيد بن محمد بن غانم الجهني"الصورة الفنية في المفضليات"مكتبة الملك فهد الوطنية"ط1،ج1،المدينة المنورة.

14-سهيل إدريس"الحي الاتيني"بيروت،ط7،1977،

15-شريبط أحمد شريبط"تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة"د.ط

-16صفاء عبد الفتاح محمد لمهداوي"الأنا في الشعر محمود درويش-دراسة سوسيو ثقافية في دواوينه من 1995-2008-عالم الكتب الحديث،إربد الأردن،ط1،2013

17-عبد الرحمن بدوي"دراسات في الفلسفة الوجودية"المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ط1،1980.

18-عبد القاهر الجرجاني"نظرية النظم وقراءة الشعر"تأليف محمد سعد،المكتبة الشاملة،ج1.

19-عبد المالك مرتاض"الإسلام والقضايا المعاصرة"دار الهومة،الجزائر،د.ط،2003.

20-عبد المالك مرتاض"القصة الجزائرية المعاصرة"دار الغرب للنشر والتوزيع"2004.

21-عبد المالك مرتاض"تجريب في نمنمة اللغة و عجائبية الحدث"دار القدس العربي،،وهران،ط1،2018،ص3

22-عبد المجيد حنون"صورة الفرنسي في الرواية المغاربية"دار النشر والتوزيع.

23-عزيز العكايشي"الحوار مع الآخر"بين ثقافة في عصر الهامش والمركز العولمة،جامعة منتوري،قسنطينة،قسم اللغة العربية وآدابها،الجزائر.

24-علي البطل"الصورة في الشعر العربي"دار الأندلس،ط3،بيروت،لبنان،1983.

25-عماد حاتم"النقد الأدبي قضاياه..."دار الشرق العربي،بيروت،د.ت.

26-قدامة بن جعفر"نقد الشعر"المكتبة الشاملة،دار النشر والتوزيع.

27-لويس معلوف"المنجد في اللغة والاعلام"دار الشروق والمكتبة الشرقية،لبنان،1991

28-ماجدة جمود"صورة الآخر في التراث العربي"الدار العربية للعلوم،بيروت،ط1،2010.

29-محمد غنيمي هلال"الأدب المقارن"دار الثقافة،دار العودة.

30-مصطفى ناصف"الصورة الأدبية"دار الأندلس للطباعة والنشر التوزيع،د.ت.

31-ميشـــــال فوكو"الانهمـــــام بالـــــذات"ت:جورج أبـــــو صـــــالح،مركز الإنمـــــاء العربي،لبنان،د.ط،1992.

32-نور الدين أقاية "المتخيل والتواصل"المنتخب العربي،لبنان ،د.ط.

33-واسيني الأعرج"كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد،منشورات الفضاء الحر،الجزائر العاصمة،ط1،2004.

***الرسائل والأطروحات:**

34-مازية حاج علي"الهوية وسرد الآخر في روايات غسان كنفاني"رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه،جامعة محمد خير،بسكرة،الجزائر،2016-2017،

فهرس الموضوعات

فهرس الموضـــــوعات:

-إهداء.

تشكرات

-مقدمة .....أ-ب

-الفصل الأول:"التأسيس النظري لمفهوم الصورة والآخر

-مفهوم الصورة.....ص60

-ظهور مجال علم الصورة.....ص10

-ظهور أنواع الصورة ص11

-عناصر تكوين الصورة الأدبية.....ص14

-مفهوم الأنا والآخر.....ص19

-وسائل تلقي صورة الآخر.....ص21

-حالات فهم الآخر وقرائته.....ص25

***الفصل الثاني:صورة الآخر في رواية أنا وحاييم**

-عن رواية أنا وحاييم.....ص32.

-تجليات صورة الأنا والآخر في الرواية.....ص33

-جدلية العلاقة بين الأنا والآخر.....ص44

- -خاتمة ص54

-ملحق.....ص57

فهرس الموضـــــوعات:

-قائمة المصادر و المراجع.....ص64

-فهرس.....ص68

-ملخص

الملخص:

تعد الرواية من الأجناس الأدبية التي لقيت اهتماما بالغا من قبل الدارسين وقد تناولت هذه الدراسة جدلية العلاقة بين الأنا والآخر في رواية"أنا وحاييم "للروائي الجزائري "الحبيب السايح"، فأراد أن يقدم لنا الصورة الإيجابية اتي يحملها الآخر المسيحي تجاه الأنا الجزائرية المتمثلة في التعاطف والتسامح ودعم الجزائريين ومساندتهم والدفاع عن حقوقهم.

الكلمات المفتاحية: جدلية الأنا والأخر- حبيب السايح- رواية أنا وحاييم-جماليات الصورة

Summary :

The nove lis one of the literaty genres that has recieved great interest fro; scholars the study has dealt zith the dialectic of the relationship between the ago and the other in the novel anna and haim by the Algerian novelist habib sayeh he wanted to present us zith the positive Image that other empathy supportib=ng the Algerians and defending their rights.

key words:the dialectic of the ego and the other-habib sayeh-a novel by haim-